

الصراع الغزنوي - السلجوقي في خراسان ومدنها

حتى سنة 552هـ - 1161م

د. محمد حسن عبد الكريم العمادي *

ملخص

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مراحل ظهور قوة السلاجقة باعتبارهم قوة صاعدة في بلاد ما وراء النهر، ويدرس كذلك كيف نشأت دولتهم في خراسان وكيف صارت مدينة مرو عاصمة لها، كما يتابع دراسة التطورات التي مرت على هذه المدينة نتيجة للحروب المتتالية بين السلاجقة والغزنويين منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وكذلك يدرس كيف استمرت خراسان مركزاً إدارياً للسلاجقة حتى عام 552هـ/1161م.

ويتناول البحث بالدراسة مسألة انتماء السلاجقة إلى قبائل الغز، وأنصهارهم في المجتمعات المتحضرة، وإعلان الدولة في عهد طغرل بك، وعلاقاتهم بجيرانهم، كما يدرس الأحداث التي مرت على عاصمتهم مرو حتى انهيار دولتهم، تلك التي نتجت عن النزاعات بين السلاجقة وجيرانهم من الخوارزميين وأتراك الغز، حيث تعرضت خراسان للتجزئة السياسية.

The Ghaznavid – Seljuk Conflict in Khurasan and its Cities

Till 552 A.H / 1161 A.D

Dr. Mohammed Hassan Alemady
Abstract

This research aims to spotlight stages of rise the Seljuks power as great power in Tranxonia . It will study also how their state did in Khurasan , and how Marw did become capital for it. And follow the developments that passed on this city as result of the wars between the Seljuks and Ghaznavids from the fifth century for Hejra . It will study how Khurasan continued as administrative center for the Seljuks till 552 A.H/ 1161 A.D.

This research discusses Seljuks belonging to the Ghuz tribes , and their integration in the civilizing societies , and the events that passed on their capital Marw till decline of their state. These events that resulted in the conflicts between the Seljuks and their neighbors , the Khwarzmens and the Ghuz Turks , where Khurasan was subjected to political division.

أصبحت خراسان ومدنها ميداناً للصراع السياسي في عهد السلاجقة، بعد أن سمح السلطان محمود لقبائل الغز باستخدام بعض مدن خراسان الشمالية من أجل الاستقرار والعيش في مناطق أكثر تحضراً، لكن هذه الموافقة كانت بمثابة رد فعل من السلاجقة على الرسالة التي وجهها السلطان محمود إليهم، عندما قبض على أرسلان إسرائيل وسجنه في إحدى قلاع الهند حتى مات هناك، ومع أن الأراضي التي منحها السلطان محمود للسلاجقة كانت بعيدة عن المدن الرئيسية؛ فإن السلاجقة استقروا في المواقع المهمة القريبة من تلك المدن، حتى إن والي (طوس) (أرسلان جاذب) اشتكى منهم لدى السلطان محمود مرات كثيرة، ولكن السلطان لم يكثر بهذا الأمر، ولم يعره أية أهمية إلى أن توالى الهزيمة على أرسلان. فلما أدرك خطورة هذا الموقف أعد جيشاً قوياً لمواجهةهم، وقتل كثيراً منهم، وقبض على كثير منهم، وفر الباقون منهزمين إلى الغرب في جبال بلخان على الساحل الشرقي لبحر قزوين، وهرب بعضهم إلى داخل فارس، وعملوا مرتزقة مع قوات الدولة البويهية في كرمان⁽¹⁾. لكن السلاجقة استعطفوا السلطان مرة أخرى بعد هزيمتهم، واعتذروا مما بدر منهم، فقبل السلطان محمود اعتذارهم، وسمح لهم بدخول أراضي خراسان مرة أخرى. فأخذوا ينتهجون هذه المرة سياسة جديدة وحيلة بارعة حتى يتمكنوا من تثبيت أنفسهم في مدن خراسان، وبعدها يتمكنون من الثورة ضد الدولة. وقد تحقق لهم ذلك بعد وفاة السلطان محمود، عندما أهمل السلطان مسعود هذه القضية، وبدأ يهتم بالهند وشئونها. وعندها امتدت هذه الثورة لتغطي خراسان وبصفة خاصة مدن مرو⁽²⁾ ونيسابور⁽³⁾ وسرخس ونسا وباورد وغيرها، ثم توالى الهزائم على الجيش الغزنوي وقادته، ولم يكن أمام السلطان مسعود من بد إلا أن يخوض معركة فاصلة في منطقة دندانقان مع السلاجقة. ولقد أنهت هذه المعركة كل آمال الغزنويين في بقائهم في خراسان، وبدأ عصر جديد للسلاجقة بعد انتصارهم على الغزنويين.

وسنرى كيف ازدادت أهمية خراسان ومدنها، وبصفة خاصة مرو ونيسابور وسرخس ونسا وباورد، عندما اهتم الغزنويون والسلاجقة بها، وكيف أصبحت مدينة مرو قاعدة عسكرية للجيش الغزنوي، يتناوب عليها قادة عظام فترة الصراع بين الغزنويين والسلاجقة من سنة 416 هـ/ 1025م، حتى سقوط الدولة الغزنوية بعد معركة دندانقان⁽⁴⁾ في شهر رمضان سنة 431 هـ/ 1140م.

ومن ثم تهيأت النفوس في إقليم خراسان ومدنها، لاستقبال أي وافد قوي يمكن أن يحقق للأهالي الرفاهية في الداخل والأمن من الغزو الخارجي، خاصة أن هذه البلاد كانت تقف على مر الزمان حائلاً وسداً في وجه الجماعات والشعوب

النازحة، فقدت قدرتها في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ولم تعد لها الطاقة التي كانت تتمتع بها من قبل على استيعاب المهاجرين⁽⁵⁾. ومن هنا أردت توضيح أهمية المدن الخراسانية من النواحي السياسية والعسكرية.

كما يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مراحل ظهور السلاجقة بوصفها قوى صاعدة في بلاد ما وراء النهر، وكيف نشأت دولتهم في خراسان، وكيف اتخذ جغري بيك مدينة مرو عاصمة له، عندما توالى الأحداث والتطورات على هذه المدينة، نتيجة الحروب المتتالية بين السلاجقة⁽⁶⁾ والغزنويين⁽⁷⁾ في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، واستمرت خراسان مركزاً إدارياً للسلاجقة حتى سنة 552 هـ/ 1161م.

السلاجقة وانتمائهم إلى قبائل الغز:

الترك أمة عظيمة، ينحدر نسبها من عدة قبائل ومجموعات، كانت تسكن بلاد ما وراء النهر. فضلت هذه القبائل الانتقال من مواقعها بحكم البحث عن المراعي الخصبة، أو بسبب الظروف التي فرضت على المنطقة، منها الاقتصادية ومنها ما وقعت من نزاعات وحروب بينها من فترة إلى أخرى من أجل السيطرة وبقائها في هذه المناطق في القرنين السادس والسابع الميلاديين، وكانت شعوب هذه المناطق شعوباً رعوية ورجال حرب، وفي حوزتهم السلاح يرحلون في الشتاء والصيف من مكان إلى آخر، طلباً للرعي والإغارة واستعراض القوة على القبائل الضعيفة بهدف السلب والنهب⁽⁷⁾.

ثم استوطنت هذه القبائل التركية مواقع جديدة بين أراض واقعة في الشمال الغربي من بلاد ما وراء النهر، وقد حدد الجغرافيون من خلال المواقع الجديدة مساكن ثلاثة أقوام من الترك في الأرض الممتدة من بحر الخزر إلى حدود الصين وهؤلاء هم:

1- الغز⁽⁸⁾، وينتشرون في الأراضي الممتدة من بحر الخزر إلى أواسط مجرى سيردر (نهر جيحون).

2- القارلوق، وينتشرون في الأراضي التي تمتد إلى مسيرة عشرين يوماً شرقي فرغانة.

3- التفرغز أو طوقوز⁽⁹⁾ - أوغوز، ويسكنون الأراضي التي تبدأ من حدود أراضي القارلوق، وتمتد حتى الصين.

وإذ نحن بصدد دراسة أصول السلاجقة وانتمائهم إلى قبيلة الغز التي يجمع

معظم المؤرخين على أن السلاجقة يرجع أصلهم إليها، فإن الغز كان موطنهم الأصلي سهول أوراسيا التي تعرف بالجمهوريات الروسية الإسلامية الآن، أو كما عرف عند الجغرافيين العرب باسم تركستان أو آسيا الوسطى. وعاشت قبائل الغز في الصحراء الواسعة التي تبدأ عند حدود الصين، وتنتهي إلى شواطئ بحر الخزر، بعد أن عمل السامانيون على تهجير جموع كثيرة منهم عن مساكنهم الأصلية ليستقروا في البلاد شمالي ما وراء النهر التي استولوا عليها من قبضة الأتراك الشرقيين، وكان من بين قبائل الغز قبيلة عرفت باسم رئيسها سلجوق، وقد استقرت في منطقة مصب نهر سيحون؛ أي في جنوبي بحيرة خوارزم. وسرعان ما دخل سلجوق ومجموعة من قبيلة الغز في الإسلام، ودخلوا في طاعة حاكم مدينة جند من بلاد شاطئ سيحون وكان أهلها مسلمين، فلما مات سلجوق أقام أبناؤه بهذه المدينة، لكن أهالي مدينة جند عندما تضرروا من مهاجمة السلاجقة لهم، أجلوهم عن مدينتهم، فسكنوا في قرية نور من قرى شمال شرقي بخارى⁽¹⁰⁾.

تحرك الغز في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث الهجري في مناطق سهوب سيبيريا، باتجاه بحر الآرال وإلى الفولجا، وجنوب روسيا، ثم أغاروا على أشروسنة في عهد الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م)، وبدأ المؤرخون يتابعون أخبار تنقل الغز في الأراضي الإسلامية، وكيف تألفوا من تسع قبائل - ومنها ما ينتمي إلى السلاجقة - وكان على رأس كل قبيلة أمير ومقدم وبك، إلى أن دعى أمراؤهم بالدهقان في عصر السلطان مسعود الغزنوي⁽¹¹⁾.

أما لفظ التركمان⁽¹²⁾ فكان يتداوله المؤرخون في أواخر القرن الرابع الهجري، فقد أكد الكشغري في ديوان لغات الترك أن: (أغز قبيلة من الترك وهم من التركمان، وهم اثنتان وعشرون بطناً، ولكل بطن علامة وسمة على دوابهم يعرف بعضهم البعض بها). وعندما عدد أسماء هذه البطون، بين أن (فندق) هي القبيلة المتقدمة بين كل القبائل التركية، وينتمي إليها سلاطين السلاجقة الذين أصبح لهم شهرة وقوة بعد ذلك في تاريخ الدولة السلجوقية في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي⁽¹³⁾.

انصهار السلاجقة في المجتمعات المتحضرة:

بعد عصر السلاجقة واحداً من أهم العصور التاريخية في إيران؛ إذ من الممكن تشبيه هذا العصر بالقرون الوسطى المتحضرة في الغرب. ويتضح لنا -بالرجوع إلى المصادر التاريخية- أن ما وراء النهر كانت معبراً لأقوام متعددة منذ عصور ضاربة في القدم، والذين أقاموا في السهول الجنوبية والغربية لهذه المناطق. وقد ارتحلت عدة أفواج كبيرة من أقوام الترك والغز من خارج منطقة آسيا الوسطى إلى هذه المناطق بعد انهيار الأسر الإيرانية المحلية في الشمال الشرقي.

وينبغي أن نعلم أن التنقل كان صورة متكررة لتاريخ هذه المناطق منذ القدم، وأن نهري سيحون وجيحون كان مجراهما بمثابة حزام تقليدي بين آسيا الوسطى وبلاد الحضارة القديمة في هذه المنطقة (14).

وقد ازدادت الأسر التركية الأصل التي كانت تحكم العالم الإسلامي بصفة عامة؛ إذ كانوا يبسطون حكمهم حتى على البلاد البعيدة مثل بلاد الروم بعد استيلائهم على إيران والعراق وبلاد الشام. وقد أدى ظهور السلاجقة إلى زيادة ألوان الاقتصاد واستثمار الأرض الذي كان قد بدأ منذ عهد آل بويه.

ولقد شرع السلاجقة في الهجوم والإغارة في أثناء ظهورهم أول مرة فيما وراء النهر وخراسان في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، وكان من الواضح أنهم لم يقصدوا السيطرة. فلا يوجد فرق بين عصر السلاجقة والعصور السابقة عليه واللاحقة له من عدة جهات، فقد كان هذا العصر عصر حروب حادة، وقد انتشر القحط والطاعون وكثرت الشدائد، ومن ناحية أخرى فقد كان العصر الذي ارتفعت فيه حضارة إيران إلى قمة التقدم المادي والمعنوي، بحيث لا يصل أي عصر من العصور الأخرى إلى قدم ذلك العصر (15). فقد كان يعيش في هذا الزمن علماء مثل الغزالي (16) والشهرستاني (17) والنسفي (18) والأنوري (19) ونظام الملك (20) وعمر الخيام (21) أبو سعيد بن أبي الخير (22)، وقد وجدت ظروف في عهد حكومة السلاجقة أدت إلى ازدهار الفنون. وبرغم كل هذا فينبغي ألا نتصور أن كل هذا التناقص قد وجد في هذه الفترة الوجيزة، أو أنه وجد طوال هذا العصر أو في مكان محدد من هذه الإمبراطورية. فقد شملت هذه الإمبراطورية في إطارها تنوعاً إقليمياً عظيماً؛ إذ وجد تنوع كبير في أخلاقيات المجتمع، ويصادفنا اختلاف كبير بين الترك والتاجيك، وبين رجال الجند وبقية أفراد المجتمع، وكذلك الحال بين أهالي المدن وصناعاتهم وحرفهم، وبين أهالي القرى (23).

ظهور سلجوق بن دقاق حتى إعلان الدولة في عهد طغرل بك:

سلجوق هو مؤسس أسرة السلاجقة، وقد كان هذا الشخص رئيساً أو عضواً مهماً في طائفة القنيق (قنق) من قبيلة الغز، وانفصل هو وعشيرته قبل سنة 376هـ/ 985م عن الجزء الأكبر من قبائل الغز، وأقام معسكره في الساحل الأيمن لنهر سيحون. ويعتقد البعض أنه كان نستورياً استناداً إلى أسماء أبنائه ميكائيل، وموسى، وإسرائيل. لكن هذه النتيجة ليست جديرة بالثقة؛ لأن هذه الأسماء مأخوذة من الكتب المقدسة، وهي أسماء إسلامية كذلك، وهو مقترن بحقيقة أن عشيرة سلجوق عندما وصلت إلى حدود ما وراء النهر وثغورها واستقرت هناك، تحولت عن الوثنية واعتنق أفرادها الإسلام (24).

ويذكر الأستاذ فاروق سومر أنه: (في الربع الأول من القرن العاشر الميلادي اعتنقت طائفة مهمة من الأتراك -الذين كانوا يعيشون في ستكند- الإسلام، وكانت هذه الطائفة - من دون شك - من الأتراك الغز، ونحن نعرف أن ستكند كانت واحدة من مدن الغز في أواخر القرن العاشر والحادي عشرة الميلادي)⁽²⁵⁾.

ويذكر رنه كروسية كذلك: (أنه في الربع الأول من القرن العاشر الميلادي، كان يعيش حوالي ألف عشيرة من الغز بين باراب وكنجده والشاش (تاشكند)، وأنهم قد اعتنقوا الإسلام، ورحلوا ناحية الجنوب بسبب الزحام والبحث عن المراعي، وأن هؤلاء الغز كانوا يدافعون عن حدود الدولة الإسلامية من شر هجمات الأتراك غير المسلمين)⁽²⁶⁾.

ثم كان للأتراك دور في المسرح السياسي بعد زوال الدولة السامانية، عندما بدأ هؤلاء الأتراك في تقسيم إرث السامانيين بين الأتراك القراخانيين الذين صاروا أصحاب ما وراء النهر والأتراك الغزنويين الذين كانوا قد استولوا على خراسان. وقد أفاد الأتراك السلاجقة من هذا الاضطراب، فتقدموا من موقع إلى آخر، ونصبوا خيامهم في قلب ما وراء النهر. وينبغي أن نلاحظ العوامل التي ساعدت السلاجقة وتوابعهم على الانتقال من جند إلى ناحية الجنوب من أجل البحث عن مراعي بأطراف بخارى؛ لأن الأوضاع السياسية في هذه المنطقة كانت مضطربة، فقد كانت هذه المنطقة تحت سيطرة أسرتين قديمتين؛ هما الخوارزمشاهيون والسامانيون الذين لم يمض وقت طويل على انقراضهم، حتى ظهرت قوتان جديدتان هما القراخانيون والغزنويون لملء هذا الفراغ⁽²⁷⁾، وكانت هذه الأحداث فرصة مناسبة في مساعدة قبائلهم، أضف إلى ذلك عوامل ودوافع عدة، يمت بهذه القبائل إلى ناحية الجنوب أهمها:

- 1- ضيق رقعة ديارهم وقلة مراعيهم.
- 2- التنافس والتنافس واستمرار الحروب فيما بينهم، كل ذلك جعل الغلبة للقبائل الأكثر قوة، حتى استطاعت الاستحواذ على أراضي المنطقة الخصبة.
- 3- قلة موارد الرزق نتيجة الكوارث والحروب التي كانت تقع على المنطقة وما ينتج عنها من قحط وسوء الحالة الاقتصادية، حتى أصبحت هذه المناطق لا تصلح لاستمرار الحياة فيها⁽²⁸⁾.

علاقة السلاجقة بدول الجوار:

ولقد كان السلاجقة في مستهل القرن الحادي عشر الميلادي بمثابة الجنود المأجورين في الأقطار الإسلامية، وكانوا يقومون بخدمة من يعدمهم بالغنائم. فما

كان لطائفة التركمان قيادة ولا سياسة واضحة، فكانت مجموعات منهم تقوم بخدمة الغزنويين في تلك الأيام حيناً، وخدمة القراخانيين حيناً آخر. وفي سنة 416هـ/ 1025م اتحد السلطان محمود الغزنوي مع يوسف قدرخان - أمير القسم الشرقي لحكومة القراخانيين - ضد أخيه ومنافسه على تكين. وقد طرد على تكين بصفة مؤقتة من السغد، وأجبر التراكمة على الرحيل من المنطقة؛ لأنهم كانوا يشكلون قوة مساعدة له. وأدرك السلطان محمود أن هؤلاء التراكمة خطر يهدده، ومن ثم أسر قائد السلاجقة (أرسلان إسرائيل) بالحيلة، وأجبره أن يقضي بقية عمره في السجن في بلاد الهند⁽²⁹⁾. وقد ورد في تاريخ الغز بهذا الخصوص: "وبعد فرار على تكين، خدع أرسلان إسرائيل بوعود السلطان محمود ووعيده، ووافق على عودته إلى معسكره. وكان أرسلان إسرائيل يظن أن لقاءه بأعظم حكام زمانه سوف يزيد من قدرته، فأقبل إلى معسكر السلطان محمود في ثلاثمائة من رفاقه"⁽³⁰⁾.

ويكتب رشيد الدين بدوره: "وبناء على الأمر، وامتنالاً للحكم، اختار إسرائيل ثلاثمائة شخص من الشباب الجميل، وأقبل إلى الحضرة، وأحضر ابنه أبا الفوارس قلمش معه، وعندما حظوا بسعادة تقبيل البلاط، رحب السلطان بهم وأكرمهم، وأجلسهم على سرير الملك بجواره، فوق جميع الأمراء، وعندئذ زينوا المجلس. وفي أثناء الحوار قال له السلطان: إننا ينبغي أن نذهب بصفة مستمرة إلى بلاد الهند لغزو الكفار، وتبقى بلاد خراسان مهمة ومعطلة، ومن المتوقع أن يكون بين الجانبين عهد، بحيث إنه لو ظهر عدو في وقت من الأوقات، واقتضت الحاجة عوناً، فإنك لن تبخل بالعون والمدد، فأجاب الأمير إسرائيل: لن يكون هناك تقصير من جانبنا في خدمة سلطان العالم، فقال محمود: ولو اقتضت الضرورة إلى وجود جيش في وقت من الأوقات، فبأي قدر من المدد والمساعدة يمكنكم نجدتنا؟ فأخذ إسرائيل قوسه من حامل سلاحه، وقال بغرور ونخوة الشباب: إذا أرسلت هذا القوس إلى قومي أرسلوا إلى في الحال ثلاثين ألف مقاتل من الفرسان، فسأله السلطان مرة أخرى: ولو اقتضت الحاجة إلى زيادة؟ فألقى سين سهمه أمام محمود وقال: إذا أرسلت هذا السهم كعلامة مني فإنهم يرسلون إلى عشرة آلاف رجل آخرين، وهكذا كان يسأله إلى أن التزم بقوسه وثلاثة عصي من سهامه بمائة ألف فارس، فقال محمود: ولو لزمتم زيادة؟ قال: أرسل أحد هذه السهام إلى جبل بلخان يأتيك مائة ألف فارس آخرين، فقال محمود: إذا أردت الزيادة؟ فقال: أرسل هذا السهم إلى تركستان، وسوف يأتي لنجدة السلطان مائتا ألف فارس لو رغب السلطان في ذلك، فتأثر محمود غاية التأثر، وقال في نفسه: ينبغي عدم الاستهانة بشخص يمكنه أن يعد كل هذا الجيش من خلال قوس وثلاث كنائن للسهام. وبعد صبح ثلاثة أيام. أمر أمراءه أن إسرائيل وابنه وعشرة من أتباعه سيكونون

ضيوفاً علينا لمدة ثلاثة أيام، واجعلوا بقية خدمه ضيوفاً عليكم، ففعلوا ما أمر، وعندما أثر الشراب فيهم عند منتصف الليل، قبض عليهم جميعاً، وحبسهم بتقيل الأغلال، ثم أرسل محمود إسرائيل ورفاقه في الليل إلى بلاد الهند في قلعة كالنجر في حدود مولتان، وعندما نهض إسرائيل من نومه وجد نفسه متعباً مقيداً وأسلم جسده لقضاء السماء" (31).

وكان لإفشاء القوة التي أظهرها السلاجقة، سواء كانت هذه القوة حقيقية أم غير حقيقية، سبباً في ما آل إليه أمر إسرائيل، هذا إضافة إلى ذكاء السلطان محمود وحكته السياسية وتعامله الجاد مع هذه القوة الناشئة، حتى لا يكون لأية قوة في المنطقة نفوذ وسلطة تتحدى قوة الغزنويين، كذلك يفهم من العمل الذي قام به السلطان محمود بقائد السلاجقة، أنه كان بمثابة إنذار صريح لقوى أخرى في المنطقة كقوة علي تكين في بلاد ما وراء النهر إذا ما حاول الخروج على طاعة الغزنويين أو طاعة التحالف الثنائي بين الدولتين الغزنوية والقرخانية في ذلك الوقت (32).

وكذلك هذا التصرف غير المسئول عنه من قبل السلطان محمود أغضب السلاجقة غضباً شديداً؛ إذ جعلهم يعقدون العزم على الأخذ بالنار لإسرائيل، فاختاروا أخاه ميكائيل لقيادتهم، فلجأ إلى الحيلة والمكر، ففكر في الانتقال بهم إلى إقليم خراسان، ورسم خطة محكمة، تهدف أولاً إلى تثبيت أقدام السلاجقة في هذا الإقليم، ثم تسعى ثانياً إلى الانقضاض على الغزنويين والأخذ بالنار منهم، وترمي أخيراً إلى تكوين دولة قوية تخلف الغزنويين في إقليمي خراسان وبلاد ما وراء النهر، وما تستطيع إليه سبيلاً من ضم أجزاء أخرى من إيران (33).

أفلح ميكائيل بن سلجوق في نقل السلاجقة إلى خراسان، وكتب رسالة إلى السلطان محمود قال فيها: "إن مقامنا يضيق بنا، وإن مراعيينا أصبحت لا تفي بحاجة مواشيننا، فأذن لنا أن نعبر النهر وأن نجعل مقامنا بين نسا وباورد". غير أن (أرسلان جاذب) حاكم طوس سرعان ما أبلغ السلطان محمود بما تضمنته رسالة السلاجقة، فكتب إليه يحذره من عاقبة وصولهم إلى خراسان، ومما قاله: "فإنهم فرسان كثيرون العدة والعناد، وإنني أخشى أن يكونوا سبباً في متاعب لا يمكن تلافيتها وتداركها". كما نصحه بأن يقطع أصابع كل رجل منهم حتى لا يستطيعوا رمي السهام، وبذلك يأمن مضرتهم ولا يخشى خيانتهم، فقال له السلطان: كيف أفعل هذا بالمسلمين من غير جريمة محقة، إنك لقاسي القلب (34).

لم يأبه السلطان محمود بما حذره أرسلان جاذب، فسمح للسلاجقة بالعبور إلى خراسان، لأنه اعتقد أن قوة هؤلاء قد انتهت بما وقع لهم من أسر وقتل لأميرهم أرسلان، وأنهم لا يستطيعون مواجهته مهما بلغوا من الفراسة والحيل، والسلطان

محمود كان محقاً فيما كان يراه في ذلك الوقت؛ لأنه لم يكن ليترك الأمور بشكل يتلاعب بها الأعداء في حدود دولته وممتلكاته، لأنه كان حريصاً كل الحرص على أملاكه في خراسان، ولم يكن ليفرط في شبر من أراضيها مهما لقي من الهزائم، أما بالنسبة إلى تغيير الأوضاع السياسية والعسكرية بعد وفاته، فيرجع إلى أن مسعوداً قد أولى جل اهتمامه إلى غزو بلاد الهند وتركه مشاكل خراسان وحلها بيد العسكريين وقادته، وما لقي الجيش الغزنوي بعد ذلك من الهزائم كان بسبب الإهمال الكبير الذي لم يكن له مبرر من جانب السلطان مسعود، حتى وقع ما وقع له ولعسكره في إقليم خراسان قبل معركة دندانقان سنة 431هـ⁽³⁵⁾.

والممتنع للأحداث والوقائع التي وقعت في خراسان ما بين سنتي 418-419هـ/1028-1029م، يجد أن هناك أموراً وتغييرات قد حدثت في هذه الفترة، ولا سيما أن سياسة السلاجقة كانت تتطوي على التوسع بعد أن سمح لهم السلطان محمود بالعبور إلى خراسان ليستقروا في نسا وياورد، والذي يؤكد ذلك أن السلاجقة بدأوا يعيشون الفساد ويعتدون على هذه المنطقة، فعندما ضاق بهم العيش رفعوا شكواهم إلى السلطان محمود، وطلبوا منه التدخل بعد أن فشل حاكم طوس (أرسلان جاذب) في تحقيق أي انتصار على السلاجقة في خلال حروبه معهم، فاضطر السلطان محمود إلى المسير إليهم على رأس جيش كبير في سنة 419هـ/1029م، لإجلاء السلاجقة عن هذه المناطق، بعد معركة فاصلة وقعت بينهم انتصر فيها الجيش الغزنوي انتصاراً ساحقاً، قُتل فيها من السلاجقة أربعة آلاف من خيرة فرسانهم، كما أُسر عدد كبير منهم⁽³⁶⁾.

ويؤكد لنا الكريزي هذه الحقيقة من خلال أحداث هاتين السنتين بقوله: "ولم تنقطع الشكوى والتظلمات عن بلاط محمود مطلقاً، فكتب رسالة إلى أمير طوس ولامه ونسب العجز إليه، فكتب إليه أمير طوس رداً يقول فيه: إن التركمان قد ازدادت شوكتهم وقوى شأنهم، وليس من المستطاع تدارك فسادهم إلا تحت رايتك وركابك الخاص... فأمر الأمير محمود - رحمه الله - أن يذهب فوج كثيف من الجيش مع عدد من القواد بقيادة أمير طوس لحرب التركمان، فلما وصلوا بالقرب من رباط فراوة، التقى الجمعان، وتحمس التركمان، ودارت رحى الحرب، ولما تغلب الجيش على التركمان وظفر بهم، أعمل السيف فيهم، فقتلوا أربعة آلاف فارس من فرسانهم المعروفين، وقبضوا على كثير منهم، وفر الباقون منهزمين مدحورين إلى بلخان⁽³⁷⁾ ودهستان"⁽³⁸⁾.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل هذه الأحداث التي ذكرناها في منطقة نسا وياورد كانت تعيش مواقع أخرى؟ وهل العمليات العسكرية اتسعت أرجاؤها لتشمل مناطق ومدن أخرى مثل سرخس التي كانت تبعد عن مدينة مرو بفرسخين؟

وما دور مدينة مرو التي كانت تعد مركز الإدارة العسكرية للغزنويين ويستعين بها القادة في تموين الجيش من ناحيتي العدة والعتاد؟

للإجابة عن هذين السؤالين نقول: إن المنطقة برمتها كانت تعيش الأحداث والعمليات العسكرية، ومدينة مرو والمدن الأخرى لم تكن بعيدة عن هذه الأحداث بسبب السياسة التوسعية التي انتهجها ميكائيل قائد السلاجقة، وذلك بهدف الانتقام والثأر من السلطان محمود من ناحية، ومدى التزام الغزنويين بقيادة السلطان محمود وقادته لتحرير نسا وباورد من احتلال السلاجقة من ناحية أخرى، وكذلك لا ننسى أن إقليم خراسان بشكل عام ومدينة مرو بشكل خاص كانت تعاني مشاكل سوء تصرف الإدارة العسكرية، وكذلك علاج مسألة تسكين هذه الأفواج التركية عندما أتت بعد أن أقفرت منطقة المراعي في بلاد ما وراء النهر، واضطرت جماعات من قبائل الغز والترك إلى الهجرة إلى الحدود الجنوبية لنهر جيحون، وهى الحدود التابعة للدولة الغزنوية التي سمح السلطان محمود بدخول هذه القبائل سنة 416هـ/1025م إلى خراسان والإقامة بين نسا وباورد وفراوة، لوجود المراعي الخصبة هناك. وأيضاً هناك إشارات في تاريخ البيهقي على أن مدينة مرو قد أسهمت بالعتاد والقوة البشرية فترة هذا الصراع الذي بدأ ما بين سنتي 416هـ/1025م و419هـ/1029م. كذلك فإن السلطان محمود قبل حسم الموقف لصالحه، كان يعتمد اعتماداً كلياً على قادة مشهورين في الجيش أمثال أرسلان جاذب الذي لم يكن على قدر من المسؤولية في الحرب ضد السلاجقة، وعندما لم يجد حلاً لهزائمه، استدعى السلطان محمود شخصياً لعلاج الموقف الحربي كما جاء في رسالته: "إن التركمان قد ازدادت شوكتهم، وقوى شأنهم، وليس من المستطاع تدارك فسادهم إلى تحت رايتك وركابك الخاص" (39).

وبعد وفاة السلطان محمود الغزنوي، وقع الخلاف بين ابنه محمد ومسعود لخلافة والدهما، وكاد يتحول الخلاف إلى حرب بينهما، لولا السياسة الحكيمة التي التزم بها السلطان مسعود، وما قام به بعض الوسطاء لتسوية الأمر وإنهاء الصراع بينهما. ولكن عندما وردت أنباء من غزنة أن محمداً قد تأهب للحرب (40)، استعان السلطان مسعود بقوة التركمان وقيادة أمرائهم (يغمر وبوقه وكوكتاش وقزل)، ليزيد من قوته العسكرية، برغم معارضة كبار رجال الدولة وعلى رأسهم الوزير أحمد حسن الميمندي، بحجة أن هؤلاء التركمان كانوا بالأمس أعداء للدولة، وأنهم حاربوها، وأنهم ذاقوا حلاوة غنائم خراسان، وهم دائمو الفساد وكثيرو الاعتداء على أمن واستقرار العباد والبلاد، ونصحوا السلطان بعدم الاعتماد عليهم بوصفهم قوة؛ لأنهم يضمرون العداوة والحقد للغزنويين.

لم يلتفت السلطان مسعود لهذه المعارضة بل سعى بتحالفه مع التركمان أن

يحقق الانتصار على أخيه، وعندما تحقق له ذلك كافأ هؤلاء بالسماح لهم بالعودة إلى خراسان، إلا أنه سرعان ما تراجع عن موقفه، فاجتمع مع أحد قادته المقربين تاش فراش، وانضم إليهما بعض القيادات السياسية والعسكرية، فأصدر قراراً يخول تاش فراش بأن يبذل قصارى جهده للقبض على هؤلاء المقدمين (يغمر وبوقه وكوكتاش وقزل) إذا اتضح أنهم يريدون الفساد، وأن يسلمهم إلى الحاجب خمار تاش الذي كان قائداً عليهم، بحجة إنهاء خدماتهم للدولة والسلطان⁽⁴¹⁾.

وكان السلطان مسعود يهدف إلى السماح لهؤلاء التركمان بالعودة إلى خراسان، بعد أن تأكد له أنهم انفصلوا عن السلاجقة وانشقوا عليهم، وعندها منحهم حق التصرف في بعض المناطق من خراسان، كما رصد لهم عوائدها. إلا أن هؤلاء التركمان سرعان ما تخلوا عن خدمة السلطان وأصبحوا مصدر قلق واضطراب للدولة الغزنوية في الفترة من 424 - 427هـ/ 1023 - 1026م، وأطلقوا أيديهم في السلب والنهب والغارة على أهداف اقتصادية وحيوية في خراسان⁽⁴²⁾. وعندما علم السلطان مسعود بفعلتهم، استدعى كبار قادته لضرب هؤلاء التركمان في مواقع عدة من خراسان، ولكن التركمان استخدموا أسلوب الكر والفر مع الجيش الغزنوي وسياسة الحرب المفتوحة، وعدم البقاء في موقع واحد حتى يقللوا من الخسائر البشرية والمادية، وعندما توالى الهزائم على الغزنويين، بدأ السلطان يشك في إخلاص قادته وإمكاناتهم الحربية، كما اتهم أمير خراسان بالتهرب من المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأنه يمهّد لنفسه، حتى إذا جد جديد استغل الموقف لصالحه، فشدد عليه الأمر بأن يقوم بمهمة دفع الأعداء عن دخول المدن والمواقع الاقتصادية، فلم يكن لأمر خراسان بُد من الطاعة والامتثال⁽⁴³⁾. وعندما بدأت الحرب في سنة 425هـ/ 1024م، لم ينجح عمال السلطان مسعود في مرو وسرخس وبأورد في التصدي للتركمان، مع أن بعض المدن الخراسانية ولا سيما مرو لم تفقد أهميتها ومركزها الإداري والعسكري، نتيجة لهذه الغارات العسكرية المتكررة عليها، كما أنها حتى ذلك الوقت كانت تحتفظ بمركزها بوصفاً مقراً للوالي، وكانت قاعدة مزودة بأحدث الأسلحة والمؤن والأفيال وغيرها من العتاد والعدة، حتى تتاح لجميع القادة الفرصة في رد الاعتداءات عن المدن الخراسانية، ومع الإمكانات العسكرية الكبيرة التي توافرت للجيش الغزنوي، لم يفلح قادتهم في إيجاد حل عسكري لهذه الحرب المفتوحة⁽⁴⁴⁾، وقد أشار البيهقي إلى ذلك في بعض الروايات التاريخية مبيناً كيف أخفق هذا الجيش في رد التركمان عن المدن الخراسانية، جاء ذلك في حديثه عن أحداث سنة 425هـ/ 1024م بقوله: "وجاءت من خراسان رسائل مهمة عن أحوال التركمان ومجيئهم إلى حدود مرو وسرخس وبادغيس وبأورد، وما يجري نتيجة لذلك من المفاصد الشديدة، ومن عجز الوكلاء

والشحنة عن مقاومتهم ومنعهم، وكان سوري (أمير خراسان) قد كتب يقول: وإذا والعياذ بالله، لم يسارع السلطان بالذهاب إلى خراسان، فإنه يخشى أن تخرج من حوزتنا، فإن للتراكمة مدداً خفياً من على تكين، وإن هارون يغوي الناس في خوارزم، ويقال إنه تواطأ سراً مع على تكين على أنه يجيء أولهما إلى مرو، وأن يزحف ثانيهما على ترمذ وبلخ، ثم يتقابلان. فلما بلغت هذه الأخبار مسامع السلطان لم يهدأ له قرار" (45).

وكذلك أورد البيهقي في أحداث سنة 426هـ/1025م، خبراً مفاده أن السلطان كان ينتقل من مدينة إلى أخرى، ثم توجه إلى بلخ، ووصله كتاب من نوشتكين الخادم الخاص من مرو أفرحه؛ إذ جاء في الخبر أنه انتصر على التركمان، وأنه قتل منهم عدداً كبيراً، وأسر منهم أربعة وعشرين وهم في الطريق إليه ليتخذ ما يراه مناسباً، ونص هذا الكتاب كما جاء في قول البيهقي: "إن فوجاً من التراكمة قد جاءوا من سرخس إلى هذه الناحية، فجهزت من الجيش المنصور، حين عرفت هذا الخبر، جيشاً من غلmani، وأسرت إليهم فلقيتهم، ودارت بيني وبينهم حرب طاحنة دامت من صلاة الظهر حتى أسدل الليل ستاره، وانجلت عن هزيمتهم وفرارهم إلى صحراء نه كنبدان، ولم يكن من الصواب تعقبهم ليلاً في الصحراء، فلما جاء الخبر في الغداة بأنهم أعدوا العدة، عدت إليهم وفرضت النظام، وأمرت بنصب رعوس القتل الذين قاربوا المائتين على العيدان لتكون عبرة للناس، ثم إنني مرسل إلى حضرة السلطان أربعة وعشرين من مبارزيهم أسروا في الحرب، ليأمر السلطان فيهم بما يتبع" (46).

ميلاد الدولة السلجوقية بقيادة طغرل بك:

وبعد فترة وجيزة جمع السلاجقة قوة جديدة من الغز بقيادة جغري بك داود أبو سليمان، وطغرل بك أبو طالب محمد ولدي ميكائيل، اللذين استطاعا أن يعدا جيشاً قوياً، ويسلكا طريق خراسان، ثم يدخلانها عن طريق مرو.

يقول باسورث عن هذين الأخوين كما جاء في كتابه: "إن طغرل بك وجغري بك (47) ابنا أخ أرسلان إسرائيل، يعني أبناء ميكائيل، لم يكونا يتمتعان في ذلك الوقت بأي اعتبار، وما كان لقب "بك" بالنسبة إليهما دليلاً على فضل خاص، وكانا يسعيان إلى نقل أسرتهما مرة أخرى إلى تركستان". على حين تذهب معظم المراجع التاريخية الإيرانية على النقيض من رأي باسورث، ومن بينهم خواندمير الذي يقول: "وكان هذان الأخوان رجُلَي دولة؛ إذ كانا يتفوقان على أقرانهما بالفكر الثاقب والرأي الصائب، وتمتعا بالزعامة؛ إذ اجتمع تحت ظل راية نصرهما حشد كبير من تراكمة صحراء الخزر وأناس آخرون مشهورون" (48).

ومن الناحية العملية نجد أن هذين الأميرين أصبح بيديهما رئاسة السلاجقة، فممن البداية أراد أن يعطيا لنفسيهما الصفة الشرعية، فلذا أرسل رسالة إلى سوري ابن المعتز حاكم مدينة نيسابور، يطلبان فيها أن يأذن لهما ولقومها بالإقامة في أطراف هذه المدينة، وكان ليهما من الأسباب ما يجعل السلطان مسعود يوافق على طلبهما؛ إذ كان الوزير أحمد عبد الصمد في ذلك الوقت صديقاً لهما، وهذا نص الرسالة: "إلى حضرة الشيخ الرئيس الجليل السيد مولانا أبي الفضل سوري، من العبيد بيغو وطرغل وداود موالى أمير المؤمنين، لقد استحالت علينا الإقامة في بخارى، في بلاد ما وراء النهر، فقد كانت صلتنا بعلي تكين إبان حياته صلة مجاملة وود وصداقة، واليوم وقد مات وآل الأمر إلى ولديه، وهما طفلان طائشان قد استولى عليهما وعلى الدولة والجيش والسبها سالار قونش قائد والدهما، وقد عادانا حتى استحالت علينا العيش هناك. وإن خوارزم مضطربة أحوالها بعد قتل هارون، مما يجعل مسيرنا إليها متعذراً، ولذلك جئنا نلوذ بسلطان العالم ولي النعم، ليكرمنا الشيخ سوري، ويكتب إلى الأستاذ الرئيس أحمد عبد الصمد ليكون شافعاً لنا عند السلطان، فإنه يعرفنا وكنا بفضل وساطته نقيم كل شتاء في ولاية خوارزمشاه التونتاش - رحمة الله عليه - ... (49)".

لم يتردد السلطان مسعود طويلاً في أن يبعث جيشاً لدفع السلاجقة عن خراسان، مع أن الوزير وكبار رجال الدولة كانوا يميلون إلى استمالة السلاجقة الذين أظهروا عجزهم وطاعتهم، ولكن السلطان مسعود رفض ذلك، وأصر على إرسال جيش بقيادة الحاجب بكتغدي لقتال السلاجقة، غير أن هذا الجيش لقي الهزيمة بقرب مدينة نسا سنة 426هـ/1025م، وكانت هذه الهزيمة قاسية على السلطان مسعود ودولته (50).

ولكن جيوش الغزنويين في مواقع أخرى ولا سيما الجيش المرابط في مدينة مرو، كان على استعداد للتحرك وخوض الحرب ضد الأعداء والدفاع عن الدولة إذا ما طلب منه ذلك، إضافة إلى أن السلاجقة عندما أحسوا بالخرج في موقفهم تجاه السلطان والدولة الغزنوية، بعثوا برسول إلى السلطان مسعود ليقدم بالنيابة عنهم ولاء الطاعة والاعتذار لما بدر منهم في أثناء المعركة، مبررين ما حصل منهم بأنه لم يكن من حيلة سوى المقاومة حين قصد جنود السلطان البيوت والاعتداء على النساء والأطفال، كما طلبوا من الوزير أحمد عبد الصمد الذي كان يعده السلاجقة صديقاً لهم بأن يكون شافعاً عند السلطان. فلما عرض الأمر على السلطان، قبل اعتذار السلاجقة، ودخل الجانبان في مباحثات سياسية، كانت نتيجتها أن وافق السلطان على أن يمنح ثلاثة قادة من السلاجقة ولايات في خراسان؛ إذ وكتبت دهستان باسم جغري بك، ونسا باسم طغرل بك، وفراوة باسم موسى بيغو،

على أن يرسل لكل منهم خلعة ومنشوراً ولواء، كما منح السلطان مسعود هؤلاء الأمراء الثلاثة لقب دهقان، وتقرر أن يذهب أبو نصر الصيني ليسلمهم هذا التقليد والخلع، وأن يأخذ عليهم الميثاق والعهد مع السلطان، وعلى أن يقتصروا على هذه الولايات الثلاث⁽⁵¹⁾.

عُدّ السلاجقة هذه المنحة السلطانية نصراً لهم واعترافاً من السلطان مسعود بوجود كيان سياسي للسلاجقة وأمرائهم الثلاثة على الولايات (نسا وفراوة ودهستان)، وهذا الاعتراف كان بمثابة خطوة استهدف السلاجقة من ورائها الأمل لتوطيد نفوذهم، وتوسيع رقعة أراضيهم بخراسان، هكذا أصبح للسلاجقة كيان ودولة من الناحية العملية، أما من الناحية النظرية فكان السلطان السلجوقي يسعى إلى اعتراف وتقويض من الخليفة العباسي لحكم هذه المناطق التي وقعت في أيديهم ليكسب حكمهم الصفة الشرعية أمام المسلمين، فالرواندي يذكر لنا أهمية هذه المرحلة بقوله: "إن السلاجقة بعد عقد الصلح مع السلطان مسعود اشتد بأسهم، وازدادت قوتهم، ولاحت عليهم أمارات الملك، وعلامات الحكم، ومخايل السلطان"⁽⁵²⁾.

وكانت نتيجة هذا النصر سبباً في توجه أعداد كبيرة أخرى من التركمان صوب خراسان واستقرارهم فيها تحت إمرة السلاجقة. وكان قدومهم إلى خراسان سبباً في فتح طريق بلخان وسرخس، ثم انضم إليهم التركمان الموجودون في خراسان عن طريق هاتين المدينتين. وبعد مدة قليلة عاود السلاجقة نشاط غاراتهم؛ وهو مما اضطر الغزنويين إلى إعداد جيش مكون من خمسة عشر ألف مقاتل تحت إمرة سوباشي (سباشي)، كانت مهمة هذا الجيش التصدي لهجمات السلاجقة المستمرة على خراسان. ولكن هذا الجيش لم يوفق في حسم الأعمال العسكرية لصالحه، في خلال تسعة أشهر، بل أرسل السلاجقة رسلاً يطلبون تقويضاً على مرو وسرخس وبأورد. وكان هذا الطلب ناشئاً من أن السلاجقة بعد انتصارهم في حرب نسا لم يعودوا يهابون الغزنويين، وتلاشى من قلوبهم الخوف والهلع من قوتهم⁽⁵³⁾.

وكان اقتراح السلاجقة كما ذكره البيهقي ووافقه باسورث، أن المناطق المذكورة تعود كما كانت في يد أصحاب الدواوين الحكومية يعني صاحب الديوان، والقضاة وصاحب البريد وعلى أن تكون عوائدها للسلاجقة، في مقابل أن يكون التركمان قوة مساعدة للسلطان الغزنوي بصورة رسمية، ويكونوا في خدمة السلطان حيثما يريد، ولكن تخلي السلطان عن هذه المدن بغير صدام لم يكن أمراً ممكناً⁽⁵⁴⁾.

وهذه الحقيقة وضحتها لنا البيهقي عندما أورد خبر رسل السلاجقة إلى السلطان مسعود، وما كان من أمر التفاوض بين الوزير أحمد عبد الصمد بعد موافقة

السلطان، ولكن اقترح السلاجقة المذكور أنفاً، لم يلق قبولا من السلطان؛ لأنه عد ذلك تدخلا في شئون الدولة، وأنهم تجاوزوا حدود التسلط والتحدي. وبين السلطان للوزير أحمد عبد الصمد بقوله كما جاء في تاريخ البيهقي: "لقد تجاوز هؤلاء القوم الحد في تعديهم وتحكمهم، فقد دمروا خراسان من جهة، في حين يتحايلون بالمكر وزخرف القول من ناحية أخرى، فيجب صرف هذين الرسولين بعد إفهامهما بأن الحكم بيننا وبينهم سيكون السيف، وأن الجيوش قد سيرت للقتال" (55).

وقد ألحق السلاجقة بالحاكم الغزنوي هزيمة منكرة في موضع يعرف باسم طلخاب بالقرب من سرخس، وكان هذا النصر سبباً في أن يحتل السلاجقة قسماً من خراسان احتلالاً كاملاً.

وصارت منطقة نيسابور في يد طغرل بك وصارت مرو في يد جغري بك التي كانت إحدى المدن المفوضة للسلاجقة ومركزاً تجارياً لها غاية من الأهمية في ذلك الوقت، وصارت سرخس في يد بيغو.

وقرئت الخطبة في نيسابور باسم طغرل بك، وفي مرو باسم جغري بك. وطُمن أعيان مرو بأنه بعد أن فتحت بوابات المدينة، فسوف تبقى المدينة في مأمن من الغارة والسلب التي كانت عادة رسمية لقبائل الغز، وسوف يتخذ اللازم بشأن استرداد الأموال التي نهبها الغز من الفلاحين (56).

وقد ورد في روضة الصفا أن السلطان مسعود شرع في المصالحة بعد الانتصارات الأولى للسلاجقة، ويكتب ميرخواند بهذا الشأن قائلاً: "... ولقد أقبل السلطان مسعود معتزراً طوعاً وكرهاً، فأرسل رسولا محملاً بصنوف الهدايا من السيوف الهندية والتحف الغزنوية إلى آل سلجوق، أرسل رسالة يقول فيها: إن ما حدث لم يكن يرضينا، ولكن بعض السفهاء دفعونا إلى ذلك، والآن علينا أن نتجاوز عما مضى، ولا نتحدث عما فات، ونطوي بساط الخلاف، ونتحدث عن الصداقة والوفاق، ونرغب في تزويج ثلاث جميلات من الأعيان لثلاثة أشخاص هم: طغرل بك وجغري بك واينانج بك بن سلجوق، وحتى يزول النزاع، وتستريح البلاد والعباد من آفة الخلاف". وعندما وصل الرسول إلى معسكر السلاجقة وسلم الرسالة، قال جغري بك رداً عليها: "إن السلطان مسعوداً قد تعطف علينا بغير حدود الآن، وقال كلاماً يسعد القلب، وأدى للمروءة حقها، لكننا لا ندري هل ستوافق أفعاله أقواله بعد ذلك أم لا؟ فلو أن قلبه كان مطابقاً للسانه، فإننا سوف ندخل مقام طاعته كي لا تسفك الدماء، وتعيش الرعية في أمان، ولو أنه يسلك مسلكاً يخالف ما ورد في هذه الرسالة، فسوف يتبين ما يأمره به الحق - عز وعلا -. وعندما جرى هذا النوع من الكلام على لسان الأمير جغري بك أنثى أمراء السلاجقة عليه، وأعادوا رسول مسعود. وعندما رجع الرسول وصل إلى سرير السلطنة" (57).

ولما سمع مسعود الرد على الرسالة ابتهج وأبدى السرور، وأصدر أمراً إلى والي مرو بأن يقوم بشروط الخدمة -بدون توقف وتعطل- للأمراء الثلاثة- وأرسل والي مرو رسولا إلى السلاجقة لكنه عاد خائبا خاسرا. ومن هنا نرى أن السلاجقة لم يتقوا بأقوال السلطان مسعود ولا في عهده، ورفعوا راية الطغيان، فأمر السلطان مسعود سباشي⁽⁵⁸⁾ الذي كان من العظماء والأمراء، وكان على دراية بالمكائد، بأن يتصدى للسلاجقة؛ إذ كان حاكما على مرو، أما هو فعاد إلى غزنة⁽⁵⁹⁾.

يقول خواندمير: "فتوجه سباشي في الحال بجيش قوي صوب السلاجقة. وعندما علموا بمقدمه استعدوا للحرب والنزال، وعملوا بمبدأ الحرب خدعة، فكلما كان سباشي يقترب من معسكرهم كانوا يتركون المكان خاليا، وما كانوا يظهرون أمامه وكانوا يغيرون على محيط معسكره في الليل، فكانوا يسلبون خيله وجماله وأمتعته وأسلحته وكل ما كانوا يجدونه، واستمرت الحال على هذا المنوال ثلاث سنوات؛ إذ خربت معظم ولايات خراسان في تلك الناحية، ووقع السلطان مسعود في بحر الحيرة بسبب سماعه هذه الأخبار، حتى عزم ذات مرة أن ينهض لقتال السلاجقة بنفسه، لكنه ترك تلك الديار بسبب نصيحة بعض الحكماء، وأثر مجلس الطرب على ميدان القتال. وفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة ضاق سباشي من كر آل سلجوق وفرهم، فتوجه إلى هراة من حدود نسا، وتوجه جغري بك إلى مرو، وأعمل النهب والغارة في ضواحي تلك الولاية، وعندما بلغ هذا الخبر مسمع سباشي استشاط غضبا، ولحق به من هراة إلى مرو في ثلاثة أيام، وأعد جغري بك جيشا لقتاله، وقبل أن يستخدم السيف والسنان كالبطل، ولى وجهه عن المعركة وزحف إلى مرو وتفرق جيشه..."⁽⁶⁰⁾. وبعد أن أمر سباشي حاكم جوزجان بحرب السلاجقة وأرسل عددا هائلا لمساعدته، ذهب هو نفسه من مرو إلى نيسابور. وكانت أوضاع نيسابور غاية في الاضطراب، لدرجة أنه عجز عن تدبير علف الماشية والأغنام. فذهب سباشي من نيسابور إلى دهستان، وعرض ما حدث على السلطان، وعندما علم السلاجقة أن سباشي قد رحل عن مرو، توجهوا صوب هذه المدينة، واستسلمت المدينة في نهاية المطاف بعد أن حاصروها عدة أيام، وبهذه الصورة فتحت مرو عن طريق المصالحة. وأسلم قادة السلاجقة يعني طغرل بك وجغري بك مدينة مرو إلى واحد من الأمراء اتصف بالإنصاف والمروءة، ومضيا للقاء سباشي خارج المدينة. وفر سباشي مع عدد من رفقائه صوب هراة، ولكنه لم يجرؤ على البقاء في هراة كذلك، فتوجه صوب غزنة. وعندما تم لطغرل بك وجغري بك فتح مرو وضواحيها، ولأذ سباشي بالهرب، قاما بإرسال رسائل النصر إلى كل ناحية⁽⁶¹⁾. ويرى عباس إقبال أن سبب الهزيمة هو القائد سباشي؛ لأنه كان رجلا مماطلا، كما اتهمه بأنه كان حليفاً للسلاجقة وأنه لم يواجههم فيما بين مرو وسرخس. وقبل أن تحسم المعركة جمع أمواله وهرب مستتراً بأستار الليل، وتبعه أكثر جنده في الصباح⁽⁶²⁾.

فلما وصل هذا الخبر إلى نيسابور التي كانت عاصمة لخراسان، أعد الأشراف والأعيان في هذه المدينة التحف والهدايا وتوجهوا إلى معسكر السلاجقة، وأظهروا الطاعة والانقياد. ودخل السلاجقة نيسابور، واعتلى طغرل بك سرير السلطنة بموافقة الأمراء وعظماء الدولة. وأعدت الخطبة والعملة باسمه، وأمر طغرل بك أخاه جغري بك بالاستيلاء على هراة، فتوجه إلى هراة، وأقبل أهلها معلنين الطاعة. ثم عاد إلى مرو بعد أن اختار عمه على ولاية هراة⁽⁶³⁾، وكما يقول خواندمير: "قرفع راية الإنصاف هناك وأزال رسوم الظلم والاعتساف..."⁽⁶⁴⁾.

معركة دندانقان وإعلان الدولة السلجوقية وعاصمتها مدينة مرو:

وبعد أن اطلع السلطان مسعود على هذا الأمر وعلم بضياغ مرو ونيسابور وهراة، سواء ما ضاع منها سلماً أو حرباً، عزم على خوض القتال مع السلاجقة بنفسه وتوجه صوب مرو، والتقى الجيشان للقتال، وكما يقول رشيد الدين: "... وأغار طغرل بك وجغري بك على الأعداء من عدة جهات، ودار القتال بين صحراء سرخس وبأورد وفي ضواحي قلعة دندانقان مرو شاهجان..."⁽⁶⁵⁾. وقد هُزم السلطان مسعود في هذا الموضع، وكانت هزيمته في دندانقان بالقرب من مرو سنة 431هـ/1040م، وكان ذلك بمثابة الرمق الأخير للغزنويين، هذه المعركة وقعت في الثامن من رمضان من هذه السنة؛ إذ خرج السلطان مسعود بجيش جرار متجهاً إلى مرو، ومنها إلى نيسابور. وقد وصف البيهقي هذا الجيش: "بأنه كان مرهقاً، وقد مر بطرود سيئة؛ إذ إن المنطقة قد عمها القحط، وكان الجو شديد القيقظ، والمؤمن قليلة، والعلف لا وجود له، والدواب هزيلة والناس صيام". في الوقت الذي أعد فيه السلاجقة كل العتاد والعدة لمواجهة هذا السلطان العظيم في الصحراء الواقعة بين سرخس ومرو، حيث طمسوا الآبار واختاروا دندانقان مكاناً للمواجهة بينهم وبين الغزنويين⁽⁶⁶⁾، وكانت هذه المعركة آخر لقاء بين السلطان مسعود والسلاجقة في عام 431هـ/1040م؛ إذ دارت الدائرة على جيش مسعود بعد انتصاره في البداية، فهُزم هزيمة نكراء. وعندما شاهد السلطان مسعود آثار الهزيمة، توجه صوب غزنة والهند وعاد جغري بك إلى مقره مدينة مرو⁽⁶⁷⁾ وكان جغري بك قد اتخذ هذه المدينة عاصمة له، كما يقول رشيد الدين: "وظلت مرو مركزاً إدارياً للسلاجقة حتى نهاية حكم السلطان سنجر"⁽⁶⁸⁾.

وبعد أن اختار جغري بك مدينة مرو مركزاً لحكمه في خراسان، شرع في تعميرها وإصلاح ما خرب فيها. وكان اهتمام جغري بك منصباً على هذه المدينة من واقع رؤيته، على أنها واقعة في طرق التجارة ولها موقع استراتيجي في الجانب الشمالي الشرقي لإقليم خراسان. فنحن نعرف أن مدينة مرو كانت واحدة

من أهم المراكز العسكرية والتجارية قبل الإسلام، وكان التجار يتوافدون عليها من كل أنحاء آسيا الوسطى ليدخلوا إيران الساسانية عبر هذه المدينة، وقد ظهرت نقوش في هذه الواحة بمختلف اللغات؛ وهو مما يدل على أن أناساً على اختلاف أجناسهم كانوا يعيشون منذ أمد بعيد في هذه المدينة، وهذا يدل على كون هذه المدينة مدينة تجارية، وأنها قد استفادت من موقعها فائدة كبيرة، بعد أن فقدت أهميتها العسكرية في العهود التالية، فاختارها جغري بك مرة أخرى لتكون مركزاً لحكمه، بحيث أصبحت هذه المدينة في عهده مركزاً إدارياً إضافة إلى كونها مركزاً عسكرياً. ولم تكن مهمة هذه المدينة صد هجوم القبائل التركية، مثل قبائل القبجاق، بل كانت مهمتها ربط العلاقات الطيبة بين الغز الموجودين فيها وغز السلاجقة المنتشرين في إيران⁽⁶⁹⁾.

وتوفي كبير العائلة السلجوقية جغري بك في رجب عام 451هـ/1059م الذي كان حاكماً لخراسان وما وراء النهر، ومن بعده أخوه طغرل بك في رمضان من عام 455هـ/1062م. وقد تركا إرثاً كثيراً من الأراضي والإقطاعات في الشرق والغرب، ربما كان سبباً في إثارة النزاع بين أفراد البيت السلجوقي على عرش السلطنة، وحيث إن ألب أرسلان خلف أباه جغري بك في حكم خراسان وما وراء النهر بمباركة عمه طغرل بك، كان من الطبيعي أن يتطلع إلى الجلوس على عرش السلاجقة بعد وفاة عمه، الذي لم يضع نظاماً لولاية العهد يلتزم به أفراد البيت السلجوقي بعد وفاته، وكذلك لم يكن له ولدٌ يرثه من بعده، فغلب النظام القبلي على السلاجقة، وصار العرش مطمعاً للأقوياء بين أفراد هذا البيت، ومثاراً للتنافس والتنازع بينهم. ولكن ألب أرسلان لم يدع الفرصة للآخرين مع وجود منافس هو ابن عمه سليمان الذي كان حديث السن، فاستطاع الانفراد بالحكم بعد أن لقي تشجيعاً من وزيره نظام الملك - أبي علي حسن بن علي بن إسحاق الطوسي - على إعلان نفسه سلطاناً على السلاجقة وحاكماً للشرق والمغرب⁽⁷⁰⁾.

وكذلك أفاد ألب أرسلان في فترة تسلمه حكم خراسان وما وراء النهر من أخذ العهود والمواثيق لابنه ملكشاه من جميع أمراء السلاجقة، ثم أجازهم وأقطعهم الأقاليم الشرقية بناء على ما ذكره ابن الأثير، فقد أقطع مازندران للأمير اينانج بيغو، وبلخاً لأخيه سليمان ابن داود جغري بك، وخوارزم لأخيه أرسلان أرغو، ومرو لابنه الآخر أرسلان شاه، وصغانيان وطخارستان لأخيه إلياس، وولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن أرتاش، وهو من أقارب السلطان، وولاية أسفرار لمودود بن أرتاش⁽⁷¹⁾.

وعلى أية حال، فإن سنوات حكم ألب أرسلان العشر وسنوات سلطنة ابنه ملكشاه العشرين كانت تشكل أوج سلطنة السلاجقة العظام. وكانت أهم حادثة في

عهد سلطنة ألب أرسلان هي هزيمة جيش الروم الشرقيين في ملاذكرد سنة 463هـ/1071م⁽⁷²⁾.

الأحداث التي توالى على مدينة مرو حتى نهاية حكم سنجر:

وبعد أن توفي ألب أرسلان، ودفن بالقرب من أبيه، انتقل الحكم إلى ابنه ملكشاه. وفي عهده انتقلت العاصمة بالكامل إلى الري، وأصبحت مرو بكل ما تتمتع به من أهمية مقراً للقيادة السلجوقية وأمرائها، فقد أعطى نظام الملك إمارة مرو لحفيده شمس الملك عثمان، كما أرسل السلطان واحداً من أمرائه يدعى قودن لشرطة مرو، وعندما دب الخلاف بين قودن وشمس الملك عثمان هناك، قبض عثمان على قودن، وزج به في السجن وألحق به كثيراً من الإهانات ثم أطلق سراحه. هذا الأمر زاد من الخلاف والعداء بين السلطان ملكشاه ونظام الملك من ناحية، وعدم اعتماد السلطان عليه من ناحية أخرى⁽⁷³⁾.

وهكذا فإنه بعد وفاة ملكشاه، توجه أخوه أرسلان أرغون الذي كان على غير وفاق مع محمد بن ملكشاه مع محبيه إلى خراسان، مغتتماً انشغال ولدي أخيه، وانقسام الجند بينهما، وسار إلى نيسابور، وطلب تسليمها، فامتنع أهلها، وعندما وصل إلى مرو، كان (قودن) شحنة مرو المشهور وهو من موالي ملكشاه، وهو الذي كان سبب تغيير السلطان ملكشاه على نظام الملك، فمال إلى أرسلان أرغون، وسلم إليه المدينة، ثم استولى أرسلان أرغون على بلخ وترمز ونيسابور وجميع أنحاء خراسان. وأرسل إلى السلطان بركيارق وإلى وزيره مؤيد الملك ابن نظام الملك يطلب أن يقره على خراسان، وكانت هذه الرسالة كما أوردها صدر الدين الحسيني في كتابه زبدة التواريخ: "إني ملكت مملكة جدي داود جغري بك، إني بها قانع لا أتعداها، ولا أتعرض لغيرها، ولا أدخل إلا تحت كل ما تأمرني به"، فسكت عنه بركيارق لانشغاله بإخماد فتنة أخيه محمود وعمه تنش، لما أقال السلطان بركيارق مؤيد الملك من الوزارة، وعين فخر الملك أخاه بدلاً منه، واستبد مجد الملك البلاساني على الأمور، قطع أرسلان أرغون مراسلته السلطان بركيارق، وقال: "لا أرضى لنفسى مخاطبة البلاساني، فندب السلطان بركيارق حينئذ عمه بوري برس بن ألب أرسلان، وسيره في جيش لقتاله، ففر أرسلان أرغون إلى بلخ وبقي بوري برس في هراة، ثم جمع أرسلان أرغون جيشاً وهاجم به من مدينة مرو، فحاصرها أياماً، وفتحها عنوة وخرّب سورها، وأعمل القتل والنهب فيها"⁽⁷⁴⁾.

وفي سنة 488هـ ذهب بوري برس من هراة إلى مرو، حيث كان برقيقته مسعود بن تاجر الذي كان والده قائداً لجيش داود جغري بك جد ملكشاه، وكان متعبداً لخليل ملكشاه، فأرسل أرسلان أرغون رسولا إلى أمير الإصطبل وطمأنه

وأحضره عنده، فمال هو الآخر إلى أرسلان أرغون، وقتل الأمير مسعود بن تاجر وابنه في خيمته (75).

أما البنداري فيروي عكس هذه الرواية؛ إذ يقول: "وأرسل بركيارق عمه الآخر بوري برس بن ألب أرسلان -الذي كان عنده- لقتال أخيه -أرسلان أرغون-، وضم إليه مسعود بن ماجر (في ابن الأثير: تاجر)، وأمير آخر آلتونتاش، واجتمعت عليه عسكر خراسان، فطار من النشاط وطاش، وحث العزم البطاش، فأما مسعود، فإن آلتونتاش توهم منه بما قيل له، ففتك به وبولده، وصار الأمر كله بيده" (76).

على حين يقول ابن الأثير: "إن مسعوداً بن تاجر قصد أميراً آخر زائراً له، ومعه ولده، فأخذهما وقتلتهما، فضعف أمر بوري برس، وانهزم من أرسلان أرغون، وتفرق عسكره، وأسر، وحمل إلى أرسلان أرغون، وهو أخوه، فحبسه بترمد، ثم أمر به فخنقه بعد سنة من حبسه" (77).

نخلص من هذه الأحداث التي رواها المؤرخون ولا سيما ابن الأثير والبنداري، إلى أن السلطان بركيارق رأى عندما استولى أرسلان أرغون على معظم مدن خراسان ولا سيما مرو التي على شحنتها الأمير قودن، أن يستعين بابن عمه بوري برس ليساعده على قتال أخيه أرسلان أرغون. فاستجاب بوري برس لدعوة السلطان الذي عينه ملكاً على خراسان، وضم إليه كلا من مسعود بن ماجر وآلتونتاش ليكون عوناً له على إخماد تمرد أرسلان أرغون، إلا أن هذين الأميرين اختلفا معاً، فعندما شك آلتونتاش في إخلاص مسعود للأمير بوري برس، قتل مسعود آلتونتاش وابنه، فانفرد بالأمر دون أن ينافسه أحد قادة الأمير بوري برس، ولهذا رأى المؤرخون أن هذه الخيانة من مسعود كانت سبباً في ضعف موقف بوري برس في حربه مع أخيه أرسلان أرغون الذي لم يمهله الفرصة عندما التقاه على مرو، فهزم وأسر وأحضر إلى أخيه أرسلان أرغون، فاعتقله في ترمذ ثم خنقه، وأخذ وزيره عماد الملك بن نظام الملك فصادره على ثلاثمائة ألف دينار ثم قتله. وبهذه النهاية أصبح أرسلان أرغون ملكاً على خراسان بعد أن انتقم من مدنها؛ إذ خرب سور مرو، وقلعة سرخس، وقهنذر نيسابور (78).

وبعد مقتل أرسلان أرغون على يد غلامه سنة 490هـ/1097م سيطر السلطان بركيارق على خراسان. وكان مركز قوة هذا السلطان هو العراق وغرب إيران.

وظلت خراسان بشكل عام ومدينة مرو بشكل خاص في المرحلة الأخيرة من سنوات حكم السلطان بركيارق ومن بعده السلطان سنجر ذات أهمية للسلاجقة؛ لأن هذه المنطقة كانت مهداً لقوتهم ولدولتهم، ولقد اضطر بركيارق للعودة بعد مدة قليلة من انتصاره على أرسلان أرغون إلى العراق في النصف الثاني من سنة

490هـ/1097م، ليفصل بين أميرداد حبشي بن التونتاق في قتاله مع قودن شحنة مرو، وأمير آخر يدعى يارقطاس، وقد قتل هذان الشخصان الأمير السلجوقي النجي بن قجقار في خوارزم، واجتهدا في أن يستوليا على حكومة تلك الولاية. ولكن حبشي أخذ فتنتهما، واختار رجلاً يدعى قطب الدين محمد بن أنوشكين غرجه أي وعينه على خوارزم بلقب خوارزمشاه، وبعد هذه الفتن، أجبرت أوضاع المغرب بركيارق أن يفوض أخاه غير الشقيق سنجر على خراسان⁽⁷⁹⁾.

وقدر للولايات الشرقية من الإمبراطورية السلجوقية، أن تظل أكثر من خمس عشرة سنة في يد سنجر بن ملكشاه. وظل سنجر حاكماً لشرق الإمبراطورية السلجوقية بعد فراره من أسر الغز التركمان.

ويؤكد المؤرخون أن خراسان قد تمتعت بالرونق والازدهار في أيام حكم سنجر، وهذا الاحتمال يمكن أن يكون حقيقياً على الأقل في السنوات الأولى من حكمه، لما كانت له من خبرة سابقة في إدارة الدولة، كما صارت مرو في أيام حكمه عاصمة لدولته، وأصبحت مركزاً نشيطاً للثقافة والحياة الفكرية⁽⁸⁰⁾.

وفي الحرب الداخلية في أيام حكم بركيارق، وقف سنجر إلى جانب أخيه محمد طبر أو (تابار). لكنه من الناحية القانونية كان يعد نفسه - في خلال هذه الفترة - تابعاً ومطيعاً لسلطان العراق وغرب إيران. فعلى سبيل المثال، فإن العملة التي بقيت منه في مرو - ويبدو أنها ضربت سنة 499هـ/1105-1106م كان يطلق على نفسه ملك الشرق ويلقب محمد بلقب السلطان المعظم.

وفي الوقت الذي كان فيه السلطان سنجر تابعاً لبركيارق، نقل مركز حكومته - يعني مقر عرشه - إلى مرو في القسم الشمالي لخراسان، وشرع في حكم الإمارة والحكومة في السنوات التالية من هناك، ولكن السلطان سنجر واجه مشاكل فترة حكمه، فأولى هذه المشاكل هزيمته من القراخانيين في موقعة عند (قطوان) بالقرب من سمرقند سنة 536هـ/1141م، حيث انتهت هذه الموقعة بهزيمة جيش السلطان سنجر، وأسرت ترکان خاتون زوجته وبعض قادته وحلفائه، وسار السلطان سنجر منهزماً إلى ترمذ ومنها إلى بلخ. ومن أهم نتائج هذه الموقعة تحالف القراخانيين مع خوارزمشاه (أنسز) الذي استغل هزيمة السلطان، وقصد خراسان، فأعمل السلب والنهب في أموال السلطان سنجر، وقتل الأهالي الذين امتنعوا عن تسليم المدن له؛ مثل مرو ونيسابور وغيرهما⁽⁸¹⁾.

ولقد كان أنوشكين والياً على خوارزم في النصف الثاني من عهد سلطنة ملكشاه السلجوقي، حيث اختاره السلاجقة، وأصبح قطب الدين محمد والياً على خوارزم من بعده، وهو ابن أنوشكين، حيث اختاره أمير داد حبشي ممثلاً للسلاجقة

في خراسان في عهد بركيارق ليكون والياً على خوارزم مكان والده (أنوشتكين)، ثم حصل بعد ذلك على لقب خوارزمشاه، وقد ذاعت شهرته بالعدل⁽⁸²⁾.

وخلف أئسر أباه قطب الدين محمد. وتدل الوقائع والحوادث أنه كانت تراوده أحلام استقلال خوارزم برغم طاعته الظاهرة لسنجر، ورغم الهزائم المتكررة فإن أئسر كان مصراً على مواصلة هدفه. وبرغم أنه كان يلزم السلطان سنجر في ركابه على الدوام، ومع وجود كل هذه العلاقة الحميمة بين الطرفين، فلم يمر وقت طويل حتى تعكرت العلاقة بينهما، وكانت الحرب بين الطرفين، ولحقت الهزيمة بأئسر في قلعة هزار أسب، ووقع ابنه أيل قتلًا أسيراً في يد سنجر، حيث أمر بأن يشق جسده نصفين. وعلى الرغم من أن سنجر قد عين ابن أخيه سليمانشاه بن محمد لولاية خوارزم؛ فإنه بمجرد عودة سنجر إلى مرو، انتهز علاء الدين أئسر الفرصة وعاد إلى خوارزم معتمداً على معاونة الأهالي له وبغضهم لجنود السلاجقة، وبوصوله إلى خوارزم لم يجد سليمانشاه بداً من أن يغادر البلاد، إلا أن أئسر شعر بالخوف من عودة السلطان سنجر لقتاله من جديد، فحاول أن يسترضيه ويستعطفه ويتعهد له بالطاعة والخضوع لأمره وألا يعصيه مرة أخرى، فرضي عنه السلطان سنجر وصالحه⁽⁸³⁾، ولكن علاء الدين أئسر استهدف من هذه المصالحة أن تتاح له الفرصة لتنظيم جيشه واستعادة قوته حتى يتمكن من مهاجمة ممتلكات السلاجقة من جديد، فاستولى على بخارى سنة 543هـ/1139م، وقتل حاكمها زنكي علي، كما تحالف مع قبائل القراخا التركية، وحثهم على مهاجمة ممتلكات السلاجقة. وبالفعل بدأت هذه القبائل في شن هجماتها وغاراتها على الأقاليم الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، فعاثوا فيها سلباً ونهباً وتدميراً؛ وهو مما دفع عمال تلك البلاد إلى إرسال الشكوى للسلطان سنجر الذي لم يجد حلاً إلا أن يتحرك لقتالهم. وكان لقاءه مع القراخانيين في موقعة قطوان سنة 536هـ/1141م التي هزم فيها السلطان، سنجر وأسرت زوجته وبعض أمرائه وقادته، وفر إلى ترمذ ومنها إلى بلخ، كما مر بنا سابقاً⁽⁸⁴⁾.

ويعتقد بعض المؤرخين أن خوارزمشاه علاء الدين أئسر قام بهذا العمل انتقاماً لدم ابنه، فبعد هزيمة السلطان سنجر في موقعة قطوان، هاجم خراسان واستولى على سرخس ومرو التي دخلها عنوة، وقتل عدداً كبيراً من الأهالي من بينهم العلماء والفقهاء، وجلس على عرش السلطان سنجر، واستولى على خزانة الدولة في مرو، ثم قصد منها إلى نيسابور واستولى أيضاً على أموال السلطان وممتلكاته، وقطع خطبته، وأمر أن تكون الخطبة باسمه، ولكن الناس لم يتقيدوا بتنفيذ أوامر أئسر، وأعادوا الخطبة باسم السلطان سنجر في المحرم سنة 537هـ/1143م⁽⁸⁵⁾.

ولكن السلطان سنجر لم يترك لأئسر الفرصة ليحكم أجزاء من خراسان بعد

الاستيلاء عليها، بل حشد له جيشاً قوياً في عام 538هـ/1143-1144م، وحاصر خوارزم وأسوارها. وعندما وجد علاء الدين أُنسز أنه محاصر حصاراً محكماً وشديداً، وأن قوة السلطان هي الأرجح والأكفأ، وخشي على ضياع ملكه، أرسل الرسل إلى السلطان سنجر يطلب الصلح والعفو عنه، فوافق السلطان على ذلك، واشترط عليه أن يترك كل ما استولى عليه من البلاد والمدن الخراسانية بعد موقعة قطوان سنة 536هـ/1142م، وأن يرد جميع الأموال والجواهر التي استولى عليها من خزانة السلطان في مرو، وأن يعود إلى ما كان عليه من الولاء والطاعة للسلطان سنجر. وبعد أن تم الصلح بين الطرفين عاد السلطان إلى مرو⁽⁸⁶⁾.

ونخلص مما سبق إلى أن الأحداث والقضايا التي حدثت في هذه الفترة بمنطقة بلاد ما وراء النهر وخوارزم، أضعفت من قوة السلطان سنجر وهيبته، كما أضاعت من أملاك الدولة السلجوقية في هاتين المنطقتين إلى أن كانت المشكلة الأخيرة، ألا وهي الحرب التي كانت بين السلطان سنجر والغز، والتي لقي فيها السلطان هزيمة نكراء على مقربة من بلخ سنة 548هـ/1154م، فهلك كثير من جنده، ووقع هو نفسه أسيراً في أيديهم، وهذه الهزيمة كانت بمثابة الضربة القاضية لدولة السلجقة في المشرق.

وعلى الرغم من أن حكومة السلطان سنجر كانت مفعمة بالأبهة الظاهرة؛ فإنها كانت واقعة تحت مشكلات غاية في الشدة؛ فقد تمرد الغز في خراسان من مآسي السلطان سنجر وحروبه مع القراخانيين. وهؤلاء الغز قد نزحوا من بلاد ما وراء النهر إلى إقليم خراسان، وسكنوا بنواحي بلخ، عندما ملك القراخانيون تلك البلاد بعد معركة قطوان عام 536هـ/1141م، كما عد السلطان هؤلاء الغز من رعاياه، وفرض عليهم خراجاً كبيراً يتمثل في 24 ألف رأس من الغنم يمدون بها مطبخ السلطان سنوياً، ولكن هذا الرقم تجاوز لدى بعض المؤرخين ومنهم الدكتور يحيى حمزة الوزنة ليصل إلى 40 ألف رأس من الغنم، كما كان مقررًا عليهم أيضاً دفع مبلغ من المال سنوياً⁽⁸⁷⁾.

وكان يتم تحصيل هذا الكم من الأغنام عن طريق رئيس المطبخ السلطاني، الذي كان يناوب عنه لاستيفائها من الغز، وكما كان من عادة هذا المندوب التسلط والتجبر، حتى إنه في بعض الأحيان كان يعتدي عليهم، ويسرف في تغيير الخراف واستبدالها، ويبالغ في ذلك مبالغة شديدة⁽⁸⁸⁾.

وقد صبر الغز بادئ الأمر على تعدي محصلي الخراج وظلمهم، فلما طفق الكيل وضاقوا بهم ذرعاً، قتلوا أحدهم لأنه طمع في رشوة من أغنيائهم وتناول على أمرائهم. ولم يكتفوا بذلك بل امتنعوا عن دفع ما كان مقررًا عليهم، وحجب

رئيس المطبخ هذا الأمر خوفاً من السلطان، وكان يرسل نصيب الغز من الغنم من عنده، وتصادف أن أقبل في تلك الفترة الأمير قماج والي بلخ إلى مرو، فشرح رئيس المطبخ الأمر له، فأخطر قماج السلطان بما آل إليه أمر الغز من القوة والتسلط، فطلب من السلطان سنجر أن يمنحه حكمهم، قائلاً: إنني أتولى عقابهم وإخضاعهم، وأؤدي راتب المطبخ ثلاثين ألف رأس من الغنم، فأجابه السلطان إلى طلبه، وبعد أن عاد إلى بلخ أرسل رسولا لطلب الأغنام من الغز، ولكن الغز أجابوه أنهم لا يعرفون حاكماً لهم غير السلطان، وطردهوا رسول قماج بكثير من الإهانة، فطلب قماج من الغز أن يرحلوا عن المنطقة التي يحكمها. ولم ينفذ الغز طلب قماج من ناحية، بل استعدوا لاحتمال أن يهاجمهم، وطلبوا من سائر طوائف الغز أن يلحقوا بهم، وتم لهم ما أرادوا. وعزم قماج بعد أن حصل على موافقة السلطان سنجر أن يفتك بهم عشرة آلاف فارس. وعندما علم الغز بهذا الأمر، اقترحوا أن يجمعوا مائتي ألف درهم من كل عشيرة ليبقوا في منطقتهم، لكن قماج رفض اقتراحهم. وعندما واجههم هُزم قماج هزيمة منكرة في الحرب التي دارت بينهم، وأسر هو وابنه، ثم قتل. وبعد هذا النصر للغز نهبوا ضواحي بلخ. وبعد وصول خبر انتصار الغز إلى مرو، جمع السلطان سنجر جيشاً كبيراً (يصل إلى نحو مائة ألف حسب ما تقول الروايات) وتوجه صوب الغز. فقلق الغز كثيراً هذه المرة، وأرسلوا رسولا إلى السلطان سنجر وأخبروه أنهم سيدفعون مبلغ مائة ألف دينار وألف غلام تركي، ليتجاوز السلطان عن ذنبهم، ورضي السلطان بما عرضوه، ولكن الأمراء بالغوا في الأمر، وأجبروه على مواجهة الغز، فعبر السلطان وجيشه الطرق الوعرة واجتازوا سبعة أنهر كما بينه الرواندي، متحملين أنواع المشاق والمتاعب، ف وقعت الحرب بين الطرفين بعد أن فشلت الحلول السياسية، أو كما فسر صاحب كتاب حبيب السير: "... ولقد أظهر هؤلاء الغز الكثير من التضرع والتوسل..."، أو كما يقول الرواندي: "فلما اقترب السلطان من ديارهم، قدموا نساءهم وأطفالهم، وتقدموا ضارعين إليه، طالبين الأمان منه، وقبلوا أن يقدموا من كل بيت سبعة أمان من الفضة، فأشفق السلطان عليهم وأراد الرجوع، ولكن الأمراء أمسكوا بعنان السلطان وحالوا دون رجوعه" (89).

ولما ينس الغز من رحمة الملك، اجتهدوا في الدفاع عن أرواحهم وعيالهم، وشرعوا في المقاومة والقتال، وانتصروا على جيش السلطان في الحرب التي دارت بينهم سنة 548هـ/1153م، وعندما فر السلطان، تعقبه الغز، وأسروه وجروا عليه، وأحضروه إلى العاصمة مرو، وظلوا على الولاء له، وقاموا باحترامه وطاعته، كما رتبوا له من أنفسهم حاشية وخدماء يتبدلون كل أسبوع (90).

ولكن هذه الحال لم تستمر طويلاً، فبدأ الغز يتتبعون سياسة الإغارة على مرو التي كانت دار الملك والعاصمة منذ أيام جغري بك، وكانت - في عدة عصور -

مملوءة بذخائر ملوك الدولة وأمرائها ودفائنهم وخزائنهم، فنهبوا في أيام ثلاثة كل الذخائر الثمينة؛ وغير الثمينة مثل المراتب والأبواب والأخشاب، وأسروا أغلب أهل المدينة. وكانوا يعذبونهم بعد الغارات ليظهروا جميع الأشياء التي يخفونها. ولم يتركوا شيئاً على وجه الأرض أو تحتها إلا وحملوه، وأوسعوها نهباً بصورة غير مسبوقه، وكما يقول خواندمير: "وأغاروا على مرو - التي كانت بلدة فاخرة أهلة بالسكان - ثلاثة أيام". ويعلق رشيد الدين بقوله: "وأغار الغز على مدينة مرو التي كانت عاصمة سلاطين ملوك العجم وإيران، وكانت عامرة قبل ذلك بذخائر وخزائن الأمراء والملوك وأرباب الدولة والنعمة، فقالوا إنه من الحكمة أن يتعاملوا مع السلطان سنجر كحاكم، وأقاموا الحراسة حوله كسلطان في الظاهر، وكان الغز يقومون بغاراتهم وبرفقتهم السلطان، فأغاروا على بقية المدن ومن بينها نيسابور، ثم عادوا مرة أخرى إلى مرو وأعادوا الإغارة عليها بصورة أشد..."، ويضيف رشيد الدين قائلاً: "وقد أسروا معظم سكان المدينة، وقاموا بتعذيبهم بصنوف العذاب، ولم يتركوا شيئاً من الدفائن تحت الأرض أو فوقها"⁽⁹¹⁾.

ويقال إن أحد رؤساء الغز ويدعى بختيار، طلب من السلطان سنجر أن يقطعه مدينة مرو، فقال له السلطان: إن هذه المدينة عاصمة خراسان ولا يمكن إقطاعها لأحد، فسخر الغز من كلامه⁽⁹²⁾.

وكان السلطان سنجر مرافقاً للغز في جميع حملاتهم وهجومهم؛ يعني أنهم أكرهوه على رفقته، ووضعوه في قفص من الحديد ليمنعوه من الهرب، ويبدو أنهم قرروا إهانته، فاحتفظوا به جائعاً، وحرموه من كل شيء، بحيث أضحى اسم سنجر مضرباً للبوُس والضعف بين أهل بغداد، وقد استطاع أي أبه الملقب بالمؤيد وهو أحد أمراء السلاجقة أن يخدع حراس سنجر في رمضان سنة 552هـ/1157م، وأن يهبي له الهرب من السجن ويحمله إلى ترمذ عن طريق بلخ. وبعد أن أقام السلطان سنجر هناك فترة، دخل مرو. ولكن الأمور كانت قد ساءت بالسلطان، فقد خلت الخزانة، ونشبت الجيش، فتوفي السلطان بعد نجاته من سجن الغز بسبعة أشهر في 14 ربيع الأول 552هـ/1157م، وهو مثقل بالعجز عن إنجاز أي عمل. ودفن في مرو⁽⁹³⁾.

وآلت أمور خراسان الحقيقية إلى يد أمراء السلاجقة بعد السلطان سنجر، وتُسمت هذه الولاية بين الأمراء وقواد الجيش، وكان من أهم هؤلاء الأمراء مؤيد الدين أي أبه الذي هب لإخراج الغز من خراسان، وكان يرافقه في هذه المهمة السلطان محمود خليفة سنجر، فانقضا على الغز. وعلى الرغم من أنهما انتصرا في المرة الأولى على الغز؛ فإنهما حاقت بهما هزيمة منكرة في نهاية المطاف.

ولكن الغز صرفوا النظر عن الإغارة على مرو في هذه المرة، فأحسنوا السيرة، وأكرموا العلماء والأئمة مثل تاج الدين أبي سعيد السمعاني وشيخ الإسلام علي البلخي وغيرهما، إلا أنهم لم يترددوا في الإغارة على سرخس وطوس، واستدعى الغز السلطان محمود إلى مرو لينال شرف السلطنة سنة 554هـ/1159م. ولكن لعدم ثقته بالغز، اعتذر عن قبول اقتراحهم. وأرسل إليه الغز ليرسل ابنه، واستقبل الغز ابن السلطان محمود في نيسابور. ثم شرعوا في نهب مدينة طوس من جديد. وعندما وافق السلطان محمود نفسه على اقتراح الغز بشأن السلطنة، عاد الغز إلى مرو بالاتفاق معه. وجعلوا إدارة مرو وسرخس وبلخ مباشرة تحت تصرفهم. وعندما دعا الغز السلطان محمود إلى مرو، لم تكن هذه المدينة تعنيهم أكثر من أنها كانت مورد رزق، ودخل لهم من الهجمات والغارات المستمرة، التي كانوا يقومون بها في السابق وما كانوا يخططون لها فيما بعد، أضف إلى ذلك أن الغز كانوا يعلمون أهمية مدينة مرو من الناحية الإدارية والعسكرية بالنسبة إلى إقليم خراسان، فلذا لم يتنازلوا عنها للسلاجقة، وظلوا متمسكين بها لتكون مركز الثقل السياسي لبقائهم في المجتمع الخراساني بعد الانتصارات التي حققوها على السلاجقة في عهد السلطان سنجر سنة 548هـ/1154م⁽⁹⁴⁾.

أما الموضوع الآخر الذي شغل المؤرخين، فهو أن الغز برغم سيطرتهم على خراسان في هذه الفترة من الزمن، لم يستطيعوا تشكيل حكومة خاصة من الجنس الأصفر في هذه البلاد الواسعة - برغم كفتهم الراجحة - لأن سليمان شاه ومحمود شاه ومؤيد أبي آبه منعه من ذلك، كذلك يرجع السبب إلى سوء سيرتهم وعدم إقامتهم العدل والأمن بين الناس، وتقضيلهم عملية السلب والنهب والقتل والدمار في أنحاء خراسان، ما جعلهم يصرفون النظر عن إقامة مثل هذه الحكومة، أو يرجع السبب إلى سيطرة الخوارزميين على خراسان عقب هذه الأحداث بمدة قصيرة، فلم تعطهم فرصة لتكوين مثل هذه الحكومة.

وأرجو أن أكون - ببحثي المتواضع هذا - قد تمكنت من إلقاء الضوء على فترة من أهم فترات الصراع بين الغزنويين والسلاجقة في خراسان ومدنها في عهد السلطان محمود وابنه مسعود الذي لم يكن بكفاءة والده في نظريته إلى السلاجقة، فكان ذلك سببا في انهيار الدولة الغزنوية وبزوغ نجم السلاجقة.

وكانت النزاعات التي حدثت بين السلاجقة وجيرانهم من الخوارزميين وأتراك الغز سببا في انهيار دولتهم، ويبدو هذا الأمر جليا بعد وفاة السلطان سنجر في سنة 552هـ/1156م، حين دخلت خراسان في مجال التجزئة السياسية تحت سيطرة القوى السياسية والعسكرية الجديدة كالغوريين والخوارزميين والمغول، التي تحتاج

منا إلى دراسات وبحوث مفصلة لكل عصر من العصور المذكورة، راجيا أن تتاح الفرصة للباحثين والدارسين، ليعكفوا على دراسة هذه الموضوعات، حتى يثروا المكتبة العربية بمنثل هذه البحوث والدراسات المتخصصة في المستقبل.

الهوامش:

1- بلخان بفتح الأول وسكون الثاني مدينة خلف ابيورد، وبلخان اسم جبل وهو حتى الآن بهذا الاسم ويقع بين إيران وتركستان.

الكرديزي: أبو سعيد عبدالحى بن الضحاك بن محمود الكرديزي: زين الأخبار، ترجمته عن الفارسية الدكتور عفاف السيد زيدان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1402هـ/ 1982 م جى 310 - 312.

الحسيني: صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر الحسيني: زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد نور الدين، بيروت، 1405 هـ/ 1985 م، ص 27، وينكر أن الحاجب أرسلان الجاذب قال: "إني لأرى هؤلاء نوى بأس وشدة، والرأي أن تقطع إيهام كل من يعبر فيهم، لتأمين مضرته، ولا تخشي خيانتة، فقال له السلطان: كيف أفعل هذا بالمسلمين من غير جريمة، إنك لقاسى القلب".

The Cambridge history of Iran, vol. 4 " The Early Ghaznavids by C.E Bosworth, 1975, p.191.

2- تعد مدينة مرو إحدى المدن الأربع التي كانت تسمى عند الجغرافيين العرب بأرباع إقليم خراسان؛ لأنهم قسموا مدن هذا الإقليم إلى أربعة أرباع، نسب كل ربع إلى إحدى المدن الأربع الكبرى - مرو، ونيسابور، وبلخ، وهرات - التي كانت في أوقات مختلفة، عواصم إقليم خراسان بصورة منفردة أو مجتمعة، وأخذت مدينة مرو موقعا جغرافيا ممتازا على نهر مرغاب، الذي ينحدر من جبال الغور في شمالي شرقي هرات، ثم يمر بمرى الصغرى، ويدور بينها شمالا إلى الكبرى، التي تعرف بمرى الشاهجان، تميزا لها عن مرو الرود.

وقد وصف ياقوت: مرو الشاهجان بأنها كلمة فارسية ومعناها نفس السلطان؛ لأن كلمة جان هي نفس أو الروح والشاه هو السلطان أو الملك، سميت مرو بذلك لجلالته عندهم.

كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية: بشير فرنسيس وكوركيس عوار، بغداد، مطبعة الرابطة، الطبعة الأولى 1373 هـ/ 1954م، ص424.

الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم بلدان، دار صادر، بيروت، 1397 هـ/ 1977 م، المجلد الخامس، ص112 و113.

3- كانت مدينة نيسابور ومدينة مرو بعد الفتح الإسلامي عاصمة لإقليم خراسان، إلا أن أمراء بني طاهر جعلوا من نيسابور عاصمة لهم، فمدينة نيسابور كانت تسمى أيضا (أبر شهر)، وقد ضرب هذا الاسم على نقود الخلفاء الأمويين والعباسيين، ومع أن المدن الأربع كانت تشغل حيزا في حياة الخراسانيين سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية؛ فإن المدينتين (مرو ونيسابور) شغلنا فترة من الزمن العاصمة الأولى للدول التي استقلت عن الخلافة العباسية في هذا الإقليم.

الإصطخري: أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، تحقيق الدكتور محمد عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة، دار القلم، 1381هـ/ 1961م، ص363-364.

معوض: أحمد معوض (دكتور)، أضواء على تاريخ المشرق الإسلامى وحضارته (نزوة عصر السلاجقة العظام)، الدار العربية لنشر الثقافة العالمية، القاهرة - الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1983م، ص 23 وما بعدها.

القاضي الشيخ محمد بن أحمد كنعان: تاريخ الدولة العباسية وما رافقها من الممالك، القسم الثانى، خلاصة: تاريخ ابن كثير، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ/ 1998م، ص 413.

4- دندانتان: بلدة من نواحي مرو الشاهجان على بعد عشرة فراسخ منها في الرمل، وهي الآن خراب لم يبق منها إلا رباط ومنارة، وهي بين سرخس ومرو.

لمزيد من المعلومات انظر: ياقوت، معجم البلدان، مج 2، ص 447.

ابن حوقل: أبو القاسم ابن حوقل النصبى (المعروف بابن حوقل) كتاب صورة الأرض، بيروت - لبنان، 1979، ص 379.

5- Nazim.M: The life and times of the Mohmud of Ghazna, Cambridge 1931, p. 77-85.

Bosworth C.E: The Ghaznavids, their empire in the Afghanistan and eastern Iran, Edinburgh 1963, pp. 52-54.

Bosworth C.E: The Medieval History of Iran, Afghanistan and Central Asia, London 1977, pp. 67-74.

معوض: الدكتور أحمد معوض، أضواء على تاريخ الشرق الإسلامى وحضارته ونزوة عصر السلاجقة العظام (طغربك)، القاهرة 1982، ص 19.

6- السلاجقة: هم أسرة من الأمراء الترك، حكمت أقاليم مترامية الأطراف في المشرق والمغرب الإسلامى، يعود أصل (السلاجقة) إلى (سلجوق بن دقاق، أو تقاق) وهم أسر متعددة: السلاجقة العظام، وسلاجقة العراق وكرمان والشام وسلاجقة الروم. كان أول ظهور (بنى سلجوق) في عهد السلطان (محمود بن سبكتكين)، وفي سنة 431هـ استولى ركن الدولة (طغربك محمد بن ميكائيل بن سلجوق) على خراسان، بعد أن انتزعتها من سلطانها (مسعود بن محمود بن سبكتكين)، ثم عظم أمرهم حتى ملك (طغربك) بغداد سنة 447هـ.

أبو النصر: محمد عبد العظيم (دكتور)، السلاجقة تاريخهم السياسى والعسكرى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط 2003، ص 32.

7- الغزنويون: نسب هؤلاء إلى مدينة غزنة، بفتح العين المعجمة، وهي مدينة عظيمة بطرف خراسان، ويرجع أصلهم إلى الأمير البكتكين أحد غلمان الأمير أحمد بن إسماعيل الساماني الذي أسس مملكة غزنة، ثم تولى أمر الغزنويين سبكتكين الذي بدأ بغزو الهند، وضم بعض الولايات؛ مثل بست وقصدار إلى دولته. بعد وفاته تولى أمر الغزنويين محمود بن سبكتكين الذي في عهده اتسعت دولته لتشمل خراسان وأجزاء من بلاد ما وراء النهر، إضافة إلى غزنة وأجزاء من الهند، وقد فقدت هذه الدولة أجزاء كبيرة من ممتلكاتها في عهد السلطان

مسعود بن محمود، وهي خراسان بعد معركة دندانقان سنة 431هـ وانحصرت دولتهم بعد ذلك في غزنة وبلاد الهند إلى سنة 582هـ.

الكرديزي: أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي، زين الأخبار، ترجمته عن الفارسية: الدكتورة عفاف السيد زيدان القاهرة 1982، ص 256 وما بعدها.

القاضي الشيخ محمد بن أحمد كنعان: مرجع سابق، ص 414.

8- الغز: أمة عظيمة من الترك، وهم مسلمون كانوا في طاعة سلاطين بني سلجوق إلى زمن سنجر بن ملكشاه، فبعث إليهم من يستولي على الخراج منهم، فتجاوز الجابي الخراج في الرسم والعادة، فضربه ملكهم وكان اسمه طوطي بك، فمات الجابي، فبعث ملكهم إلى السلطان يعتذر، والسلطان وافق على قبول عذره لكن الحواشي أرادوا النهب والسبي وتحصيل المال. وكان الغز من بين القبائل التركية التي تسكن في إقليم ما وراء النهر، فلما استولى القراخانيون على إقليم ما وراء النهر هاجرت طوائف الغز، وسكنت بالقرب من بلخ.

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1399هـ/ 1979، ص 587.

حسنيين: عبد النعيم محمد حسنيين (دكتور)، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1380هـ/ 1970م، ص 130.

أما الكاشغري فيقول: "أغز من القبائل التركية وهم أيضا من التركمان، وهم اثنان وعشرون بطناً، وكل بطن من هؤلاء لهم علامات خاصة، يجعلونها على خيولهم وحيواناتهم وحتى مخيماتهم، ليكونوا مميزين بعضهم عن بعض، وقد أورد الكاشغري في كتابه علامات كل بطن من بطون قبائل الغز بعلاماتها المميزة".

كاشغري: محمود بن حسين بن محمد كاشغري، ديوان لغات الترك، ترجمة وتنظيم وترتيب ألفبائي: دكتور محمد دبیر سياقي، پژوهشگاه علوم انسانی ومطالعات فرهنگی، تهران 1375هـ ش، ص 171 - 173.

9- التتغزغز: هم قوم من الترك، بلادهم مسيرة عشرين يوماً، وليس لهم بيت عبادة، يعظمون الخيل ويحسنون القيام عليها، ويأكلون المنكي وغير المنكي، ويلبسون القطن واللبد، ولهم عيد عند ظهور قوس قزح، ولهم ملك عظيم الشأن، له خيمة على أعلى قصره من ذهب، تتسع لألف إنسان ترى من خمسة فراسخ، وكان ملكهم تتغز خاقان له ألف غلام وأربعمئة جارية، وكانوا يأكلون عند الخاقان كل يوم ثلاث مرات، ويحلمون ما يشتهون من الأطعمة، يحتسون الشراب وقت الطعام، وكان شرابهم من العنب. وكان الخاقان لا يخرج أمام العامة إلا ناعراً، وعندما كان يركب كان يتقدم قواده الطريق، كما يتقدم (الركب) أحد رؤساء المدينة ليوسع الطريق، وحينما كان ينزل من فوق صهوة جواده كان الجميع يركعون أمامه حتى يمضي..

القزويني: مصدر سابق، ص 582.

الكرديزي: مصدر سابق، ص 452 وما بعدها.

- 10- بارتولدو: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: الدكتور أحمد السعيد سليمان، راجعه: إبراهيم صبري، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ، ص 50 و 51.
- 11- أبو النصر محمد عبد العظيم (دكتور): مرجع سابق، ص 33.
- البیهقي: أبو الفضل محمد بن حسين البیهقي، تاريخ البیهقي، ترجمه إلى العربية: يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت 1982، ص 528.
- 12- التركمان: هذا المصطلح أطلق على القبائل التركية ومنهم الغز، وقد استعمل هذه الكلمة كل من المؤرخين الكرديزي والبيهقي في كتابهما وفي أثناء الحديث عن السلاجقة، فكانا يعدان السلاجقة والتركمان من الترك الذين سكنوا بلاد ما وراء النهر أو نزحوا بعد ذلك إلى خراسان ومواقع أخرى حسب التنقل والترحال في أرجاء العالم الإسلامي، حتى إن المؤرخين العرب منذ أواخر القرن الرابع الهجري كانوا يستعملون كلمة تركمان بكثرة في كتاباتهم بدلا من الغز بدلا لها.
- المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، 1987م، ص 227 وما بعدها.
- دهخدا: علي أكبر دهخدا: لغت نامه، زیر نظر دکتر محمد معین، تهران، فروردین ماه 1341هـ. ش، چاپ سیروس، ج 15، ص 610 و 611.
- 13- الكاشغري: مصدر سابق، ص 171.
- 14- باسورث: كيه.ايه. وآخرون: تاريخ إيران، از آمدن سلجوقيان تا فروباشي دولت ايلخانان، جلد پنجم، كرد آورنده، جي. آ. بويل، ترجمة حسن انوشه، تهران، اميركبير 1379 هـ.ش، ص 23
- 15- معوض: أحمد معوض (دكتور) مرجع سابق، ص 29 وما بعدها.
- باسورث: مرجع سابق، ص 23 وما بعدها.
- 16- الغزالي: ولد أبو حامد محمد الغزالي في بلدة طوس من مدن خراسان في سنة 450هـ/ 1058م، وقد صادف مولده تولى (ألب أرسلان) عرش السلاجقة، ومات أبوه وهو صغير، فقام على تربيته وتربية أخيه رجل صوفي من أصدقاء أبيه، ثم التحق بعد ذلك بإحدى المدارس الموجودة في بلدته، ثم تلقى تعليمه فترة من الزمن في (جرجان) على يدي الإمام (أبي نصر الإسماعيلي) وفي أثناء عودته إلى طوس سطا عليه جماعة من قطاع الطريق وسلبوه كل أمعته بما فيه مذكراته التي جمعها من العلوم والمعارف، ولكنه استردها منهم بعد أن أوضح لمقدم اللصوص أنه ترك الأهل والوطن لأجل تحصيل العلم. ثم ذهب الغزالي إلى نيسابور وجد واجتهد وأحسن التأليف وأجاد الوضع والتصنيف حتى علم به الوزير نظام الملك فولاه في عام 484هـ/ 1091م التدريس في مدرسته (النظامية) التي أسسها في بغداد. وظل الغزالي أربع سنوات في المدرسة النظامية في بغداد يقوم (على التدريس وتعليم العلم)، فكان عظيم الجاه، مشهور الاسم، تضرب به الأمثال، ثم قصد بيت الله الحرام فحج، ثم ذهب إلى الشام حيث ألف كتابه الكبير (إحياء علوم الدين)، أما أشهر مؤلفاته بعد كتابه هذا (رسالة في الرد على الباطنية أو الإسماعلية) و(المنقذ من الضلال) و(وتهافت الفلاسفة).

براون: إولر جرنفيل، تاريخ الألب في إيران من لفردوسي إلى السعدي، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة بمصر، 1373هـ/1954، ص 368-370.

شفق: رضا زاده شفق، تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة: محمد موسى هنداوي، دار الفكر العربي، 1366هـ/1947م، ص 125.

17- الشهرستاني: هو أبو الفتح محمد الشهرستاني، كان من فضلاء إيران، ولد في شهرستان سنة 479هـ/1087م، وهو صاحب تحقيق في الفقه، والكلام، والأديان، ومؤلفه المعروف كتاب "الملل والنحل" في تعريف الفرق الإسلامية والمذهبية، وشرح آراء الفلاسفة، وتوفي سنة 548هـ/1151م.

شفق: مرجع سابق، ص 127، براون: مرجع سابق، ص 459 - 460.

18- النسفي: هو نجم الدين أبو حفص المنسوب إلى مدينة نسف المعروفة أيضا باسم (نخشب)، وقد توفي سنة 537هـ/1142م، ويعد من أئمة فقهاء الحنفية في زمانه.

19- الأنوري: ولد أوحّد الدين محمد الأنوري في قرية بندة من ولاية أيبورد قرب ميهنة بصحراء خاوران بخراسان، ذاعت شهرته في حياة السلطان سنجر، وكانت أول قصيدة قربته إلى بلاط السلطان هذا البيت:

لو كان للبحر والكنز قلب ويد لكان أولى بهما قلب الملك ويده

واصطحب السلطان سنجر الشاعر الأنوري سنة 542هـ/1147م في حملته الثانية على خوارزم، حيث قضى على عصيان خوارزمشاه أئمز في معركة هزار أسب، وقد أنشد الأنوري رباعية في ذلك يخاطب بها السلطان سنجر وهي:

أيها المليك حسبك ملك الأرض لك

والعالم من الدولة والإقبال ربك

فاليوم خذ هزار أسب بحملة منك

فغدا ستكون خوارزم ومائة ألف جواد غنيمة لك

والمعروف أن الترجمة العربية لـ: ((هزار أسب)) هي: ألف حصان.

وفي سنة 548هـ/1153م هجم أترك الغز على السلاجقة وغلبوا السلطان سنجر وأسروه وخرّبوا بلاد خراسان، ولما شاهد الأنوري ذلك تملكه الرعب والفرع؛ إذ رأى بعيني رأسه فطائع المهاجمين، فنجأ بنفسه وعاش سنوات أخرى بعد تلك الموقعة الدموية، ثم اتصل ثانية بملوك السلاجقة وأمرائهم؛ مثل طغرل بن أرسلان وأمراء بلخ، وللأنوري غزليات جميلة، كما كان قويا في الهجاء. وهناك خلاف كبير في تاريخ وفاته، ويقال إن وفاته كانت فيما بين سنتي 545هـ/1150م، و597هـ/1201م، ولكن أقرب تاريخين لوفاته هو ما بين سنتي 587هـ/1191م - 587هـ/1189م.

لمزيد من المعلومات انظر: براون: مرجع سابق، ص 462 - 470، شفق: مرجع سابق، ص 91-94.

20- نظام الملك: ولد الحسين بن علي إسحاق الطوسي الملقب بنظام الملك سنة 408هـ / 1017م في (نوقان) إحدى قرى (الراذكان) بطوس، وفيها تعلم وقرأ القرآن، ثم تعلم العربية وفقه الشافعية والحديث في مدن خراسان الأخرى مثل: مرو ونيسابور، وقد استطاع في سن العشرين أن يظفر بنصيب وافر من العلوم الشرعية، ولقد كان أيضاً كاتباً قديراً كفتاً؛ إذ تمكن من أن يلفت إليه نظر جفري بك أخي طغرل السلجوقي، وصار بعد ذلك كاتب ابنه ألب أرسلان، ومتصدي كل شئونه. عين ألب أرسلان، في أثناء حكومته بخراسان، الخواجة وزيراً له عام 451هـ / 1060م، ولما أصبح سلطاناً عهد إليه عام 455هـ / 1064م بوزارة ممالك آل سلجوق بدلاً من عميد الملك الكندري، وظل نظام الملك يشغل هذا المقام العظيم لألب أرسلان وملكشاه ثلاثين سنة، ومن أعماله المهمة: إنشاء المدارس النظامية، فقد أسس نظاميات في بغداد ونيسابور ومرو وآمل ومواقع أخرى في المشرق، وكان أول من سن نظاماً جديداً في حقل التربية والتعليم، هو تعيين رواتب وتخصيص مساكن لطلاب العلم، وقد استعان بأشهر الفقهاء والعلماء للتدريس في هذه المدارس أمثال الإمام أبي المعالي عبد الملك بن عبدالله الجويني والإمام محمد الغزالي. ومن أشهر مؤلفاته كتاب (سياست نامه) الذي وضع فيه عصاره أفكاره وتجاربه في السياسة، ومع هذه الأعمال الجليلة فقد اغتالته جماعة من الحشاشين سنة 485هـ، وبذلك أسدل الستار عن هذا الوزير العظيم.

لمزيد من المعلومات:

نظام الملك الطوسي: الحسن بن علي إسحاق الطوسي، سياست نامه أو سير الملوك، ترجمة: الدكتور يوسف بكار، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الثانية، 1407هـ / 1987م، ص 15 وما بعدها.

براون: مرجع سابق، ص 219 - 220. محبوبة: عبد الهادي محمد رضا (دكتور): نظام الملك الحسن بن علي إسحاق الطوسي، كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى 1419هـ / 1999م، ص 233 وما بعدها.

طباطبائي: سيد جواد، خواجة نظام الملك، بنيانكذاران فرهنك إمرور، ويژه فرهنك ایران وإسلام، چاپ أول، تهران 1375 هـ. ش، ص 12 وما بعدها.

21- عمر الخيام: هو أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام، كان من كبار شعراء إيران وعلمائها، وقد ظهر في العصر السلجوقي. كان مولده في نيسابور، ويبدو من الاطلاع على تاريخ حياته أنه قد طاف ببلاد خراسان وشماليها؛ مثل طوس وبلخ وبخارى ومرو، ثم تجول حتى بغداد، ويروى أنه زار الحجاز. وكان الخيام في عصره من كبار الأجلاء، وله محاجات مع علماء عصره وسلاطينه وعظمائه؛ أمثال الغزالي وملكشاه ونظام الملك، وكانت له مكانة خاصة في المجالس السلطانية والعلمية والأدبية، ولهذا الشاعر مهارة عظيمة في أغلب علوم عصره، لاسيما علوم (النجوم والطب والحكمة) حتى اختاره السلطان ملكشاه لإصلاح التقويم، كما أنه داوى السلطان سنجر بن ملكشاه من مرض الجذري، وله أبحاث في الحكمة والعلوم مع مشاهير عصره، أمثال حجة الإسلام الغزالي وغيره. أما شهرة الخيام ففي رباعياته التي يقال إنه نظمها ليفرج بها عن نفسه بعد طول البحث في مسائل النجوم، أو التدقيق في أبحاث الطب، أو التحقيق في غوامض الحكمة، مع أن البعض قد سبق الخيام في الرباعيات؛ أمثال شهيد البلخي وأبي شكور البلخي والروديكي وأبي سعيد، إلا أن رباعيات الخيام كان لها جمال

ولطف وتأثير وروعة ويحتوي أغلبها على عبارات قصيرة ذات معان كبيرة. هذا وقد ترجمت رباعيات الخيام إلى جميع اللغات المعروفة، وكانت وفاته على ما ذهب إليه معاصره عروضي السمرقندي لبضع سنوات قبل السنة 530هـ/1137م، ودلت بعض القرائن على أنه عمّر طويلاً.

لمزيد من المعلومات: شفق: مرجع سابق، ص 87 و 88 و 80، يراون: مرجع سابق، ص 303 وما بعدها.

22- أبو سعيد بن أبي الخير: ولد في قرية (ميهنة) من أعمال (خاوران) في سنة 357هـ/1049م، وكان معاصراً لبابا طاهر، ويعد أول من أبدع الشعر الصوفي، وأول من روج (الرباعيات) وجعلها وسيلة صالحة لأداء الأفكار الدينية والصوفية والفلسفة، بحيث تتركز فيها وتصدر عنها جميع التجليات الصوفية الرائعة، واكتسب النزعة الصوفية من كبار مشايخ عصره؛ أمثال الشيخ أبي الفضل حسن السرخسي، وأبي العباس أحمد القصاب، وأبي الحسن علي الخرقاني، وأبي القاسم القشيري، وقد لبس خلعة الطريقة على يد الصوفي الكبير أبي عبد الرحمن السلمي المتوفى سنة 412هـ/1104م، ويمكن أن نقول عن أبي سعيد إنه بلغ منزلة خاصة بين أوائل الشعراء، فإن رباعياته القيمة اللطيفة - التي تنسب إليه - قد حبيبت الأفكار الصوفية وألبستها أطيب حلة.

لمزيد من المعلومات انظر:

براون: مرجع سابق، ص 325 وما بعدها.

شفق: مرجع سابق، ص 72.

23- شفق: رضا زاده شفق (دكتور)، تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة: محمد موسي هنداي، دار الفكر العربي، 1366هـ/1947م، ص 67.

لمبتون: أن. ك. س، سيري در تاريخ ايران از اسلام، ترجمة: يعقوب أزند، تهران، اميركبير 1363هـ.ش، ص 10.

24- سلجوق بن دقاق: هو جد السلاجقة وقد عرف بـ (تيمور بلغ)؛ أي (ذي القوس الحديد)، وكان من قبيلة غزنقن التي أكد الكاشغري أن هذه القبيلة (اغز من الترك وهم التركمانية)، ويقسمهم إلى اثنين وعشرين بطناً بكل بطن وسمة على دوابهم يعرف بعضهم بعضاً بها، وعندما عدد أسماء هذه البطون بين أن (قنق) هي القبيلة المتقدمة بين كل القبائل التركية، ومنها السلاطين، وشيخها سلجوق. ولم تؤكد المراجع دخول سلجوق وقبيلته في الإسلام، وربما حدث ذلك بعد أن نشأت الصلّات مع أهل (جند) المسلمين، ويذهب بعض علماء الروس إلى أن السلاجقة دخلوا الإسلام بعد أن اعتنقوا المسيحية، وهم يستشهدون على ذلك ببعض الأسماء مثل: ميكائيل وموسى وإسرائيل التي سموا بها أولادهم.

لمزيد من المعلومات انظر:

كاشغري: مرجع سابق، ص 171 - 173.

دائرة المعارف الإسلامية: أصدر بالألمانية والإنجليزية والفرنسية، ويصدرها باللغة العربية أحمد الشنتاوي وآخرون، راجعها الدكتور محمد مهدي علام، المجلد الثاني عشر، ص 24 وما بعدها.

معوض: أحمد معوض (دكتور)، مرجع سابق، ص 33 و 34.

25- فاروق سومر، غزاها (تركمنها) دانشگاه أنكارا، 1976، ص 49.

26- رنه كروسه، امبراطورى صحرانوردان، ترجمة وتحشية: عبد الحسين ميكده، بنكاه ترجمة ونشر كتاب، تهران، 1353 هـ. ش، ص 256.

وينكر الدكتور حسن أحمد محمود في كتابه: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى: "انه في عام 435هـ/ 1043م، وبفضل نشاط القره خانيين اعتنق أتراك القرغيز الإسلام، وكانت أعدادهم تربو على عشرة آلاف خيمة، وكانوا في الصيف يقيمون قرب بلاد البلغار، وإذا كان الشتاء أقاموا قرب بلاساغون".

محمود، حسن أحمد محمود (دكتور): الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968م، ص 157.

27- بارتولد: فاسيلي فلاديميروفتش: تركستان (من الفتح العربي إلى الغزو المغولي)، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت 1401هـ/ 1981م، ص 414.

ن. ويكولوسكايا وآخرون: تاريخ إيران از دوران باستان تا بایان سده هیجدهم، ترجمة كريم كشاورز، تهران 1346 هـ. ش، ص 291.

28- حسنين، عبد النعيم محمد حسنين (دكتور): السلاجقة إيران والعراق، مكتبه النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1380هـ/ 1970م، ص 16.

أبو النصر، محمد عبد العظيم أبو النصر (دكتور): السلاجقة تزيخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، طبعة 2003، ص 35.

29- باسورث. كليفورد، أ.: تاريخ غزنويان، ترجمة: حسن انوشه، ج 2، تهران، أمير كبير، 1356 هـ. ش، ص 228.

30- فاروق سومر، مرجع سابق، ص 66.

31- الهمذاني: رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ (در ذكر آل سلجوق) ج 2، به اهتمام أحمد آتش، تهران، چاپ أول، 1362 هـ. ش، ص 252 وما بعدها.

الرواندي: محمد بن علي سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية: الدكتور إبراهيم الشواربي، والدكتور عبد المنعم حسنين، والدكتور فؤاد الصياد، القاهرة 1960، ص 148 و 149.

32- خواندمير: غياث الدين بن همام الدين الحسيني، تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر، زیر نظر دكتور محمد دبیر سیاقی، ج 2، نشر خیام، 1353 هـ. ش، ص 480.

- 33- باسورث، تاريخ غزنويان، ص228. حسنين، مرجع سابق، ص24.
- 34- الكرديزي، مصدر سابق، ص307.
- حلمي: أحمد كمال الدين (دكتور)، السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت، 1395هـ/1975م، ص32.
- 35- حسنين: مرجع سابق، ص25 وما بعدها.
- إدريس: محمد محمود، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985، ص72 وما بعدها.
- 36- الكرديزي: مصدر سابق، ص314.
- أبو النصر: مرجع سابق، ص44 و45.
- إدريس: مرجع سابق، ص72 و73.
- 37- بلخان: مدينة خلف أبيورد، وبلخان اسم جبل وهو حتى الآن بهذا الاسم ويقع بين إيران وتركستان.
- الكرديزي: مصدر سابق، ص313.
- 38- الكرديزي: مصدر سابق، ص312 - 313.
- الحسيني: صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر، زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق الدكتور محمد نور الدين، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ/1985م، ص27.
- معوض: أضواء على تاريخ المشرق الإسلامي وحضارته، ص44 و45.
- إدريس: محمد محمود، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، مرجع سابق، ص71 - 72.
- 39- الكرديزي: مصدر سابق، ص311.
- باسورث: كيه.إيه. وآخرون: تاريخ إيران، أز آمدن سلجوقيان تا فروباشي دولت ايلخانان، جلد پنجم، ص26.
- 40- البيهقي: مصدر سابق، ص12 و13.
- عبدالرؤف: الدكتور عصام الدين عبدالرؤف، تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975، ص65 وما بعدها.
- أبو سيف: الدكتور فتحى عبدالفتاح أبو سيف، النزاعات السياسية في الدولة الغزنوية مع بداية حكم السلطان مسعود بن محمود الغزنوي، مجلة الدراسات الشرقية، العدد الرابع، يوليو 1986، ص136.

Nazim (M.), Ibid, p. 39. Bosworth C.E Aturco – Mangol practice among the early Ghaznavids CENTREL ASIATIC JOURNAL 1962, p. 228.

41- البيهقي: مصدر سابق، ص 292 و 293.

42- إدريس: مرجع سابق، ص 74.

أبو النصر: مصدر سابق، ص 47.

البيهقي: مصدر سابق، ص 544 – 445 و 495.

43- الراوندي: مصدر سابق، ص 158.

44- ريجارد: ن. فرای: عصر زرین فرهنگ ایران، ترجمة: مسعود نیا، انتشارات سروش، تهران 1358، ص 29.

45- البيهقي: مصدر سابق، ص 460.

46- البيهقي: مصدر سابق، ص 468.

عبد الرعوف: تاريخ الإسلام، ص 73.

47- طغرل وجفري: لفظان ترکیان الأول مصغر (دوغزاول)؛ أي القصاب وهو مشتق من فعل (دوغرامق)؛ أي أن يذبح، والثاني مصدر (جقمق)؛ أي يلمع ومعناه اللامع أو المتأنق.

فاميري: أرمنيوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمه وعلق عليه: الدكتور أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له الدكتور يحيى الخشاب، بدون تاريخ، ص 129.

48- باسورث: تاريخ غزنويان، ص 228.

إدريس: مرجع سابق، ص 74.

دائرة المعارف الإسلامية مادة جفري بك.

49- البيهقي: مصدر سابق، ص 503 و 504.

الراوندي: مصدر سابق، ص 154 و 155.

50- البيهقي: مصدر سابق، ص 324 و 325.

الكرديزي: مصدر سابق، ص 324 و 325.

51- البيهقي: مصدر سابق، ص 528.

عبد الرعوف: تاريخ الإسلام، ص 109.

Bosworth, The Ghaznavids, p. 243.

52- الراوندي: مصدر سابق، ص 156 و 157.

53- البيهقي، مصدر سابق، ص 535 و 582.

باسورث: كيه.ايه. وآخرون: تاريخ إيران، از فروباشي دولت ساسانيان تا آمدن سلجوقيان، جلد چهارم، كردآورنده، ر.ن. فرای، ترجمة: حسن انوشه، تهران، اميركبير 1379 هـ.ش، 168 - 169.

54- البيهقي: مصدر سابق، ص 544.

باسورث: تاريخ غزنويان، ص 249.

55- البيهقي: مصدر سابق، ص 545.

56- الحسيني: صدر الدين بن علي الحسيني: كتاب أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه: محمد إقبال، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت الطبعة الأولى، 1404هـ / 1984م ص 8 و 9.

57- ميرخواند: مصدر سابق، ص 246 - 247.

58- سباشي أو سوباشي: قائد عسكري - صاحب الجيش - كان دائم التدخل في شئون الدولة، وقد وردت هذه الكلمة في تاريخ البيهقي (سباشي) في مواضيع متعددة، وكان قائداً يعتز به السلطان. أيضاً من المتبع في المراسم الغزنوية أن يترك هؤلاء القادة ابنه رهينة في البلاط السلطاني لضمان عدم خيانتهم في العمل واستعداده للتفاني في أداء المهمة الملقاة على عاتقه خير أداء، وكان السلطان يعين لهؤلاء القادة مساعداً للشئون المالية، وهذا المساعد يتولى عملية إعداد الجيش من الناحية التموينية وتوفير رواتب الجند وغيرها من الأمور المعيشية أثناء تنقلهم بين المواقع والمدن الرئيسية.

البيهقي: مصدر سابق، 515 - 517 و 590 - 592.

الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، حققه: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ - 1984م، ص 141.

أنوري: حسن أنوري (دكتور): اصطلاحات ديواني دوره غزنوي و سلجوقي، تهران، چاپ دوم، بانيز 1373هـ.ش، ص 134.

Nazim, Ibid, p. 149.

59- لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: البيهقي، مصدر سابق، ص 565 و 566 و 567.

60- خواندمير: مصدر سابق، ج 2، ص 483.

61- البيهقي: مصدر سابق، ص 536 و 589 و 592.

حسنين: مرجع سابق، ص 26 و 27.

62- إقبال: عباس: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، نقله من الفارسية وقدم له وعلق عليه، الدكتور محمد علاء الدين منصور، راجعه: الدكتور السباعي محمد السباعي، القاهرة، بدون تاريخ، ص 196.

63- البيهقي: مصدر سابق، ص 600 - 604.

الراوندي: مصدر سابق، ص 158.

64- خواندمير: مصدر سابق، ج 2، ص 484.

65- الهمداني: جامع التواريخ، ج 2، ص 16.

66- البيهقي: مصدر سابق، ص 680.

عبد الرعوف: تاريخ الإسلام، ص 111.

67- باسورث: تاريخ إيران، ج 5، ص 55.

Bosworth, The Ghزنids, p. 131.

68- الهمداني: مصدر سابق، ص 18.

69- ريجارد. ن. فرأى: مرجع سابق، ص 29.

70- خواندمير: مصدر سابق، ج 3، ص 486.

الحسيني: مرجع سابق، ص 64.

حسنين: مرجع سابق، ص 53 و 54.

71- الحسيني: مصدر سابق، ص 97.

ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلدان العاشر والحادي عشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1402هـ / 1982، ص 50.

72- ن. و. بيكولو سكايَا وآخرون: تاريخ إيران، ص 269.

73- ابن الأثير: مصدر سابق، ج 10، ص 75 - 76.

الحسيني: مصدر سابق، ص 122.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت 1983، المجلد الخامس، القسم الأول، ص 24.

74- الحسيني: مصدر سابق، ص 175 - 176.

البنداري: الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، زبدة النصر ونخبة العصرة (تاريخ دولة آل سلجوق، ترجمة: محمد حسين جليلي، تهران بنيا فرهنگ ايران، 1356هـ. ش، ص308.

75- لمزيد من المعلومات انظر: ابن الأثير، مصدر سابق، ج 10، ص264.

76- البنداري: مصدر سابق، ص237.

77- ابن الأثير: مصدر سابق، ص264.

78- البنداري: مصدر سابق، ص238.

الحسيني: مصدر سابق، ص175 و176.

ابن خلدون: مصدر سابق، ص35 - 36.

79- البنداري: مصدر سابق، ص309.

80- عسيري: مريزن سعيد مريزن، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي في الطبعة الأولى، مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة، 1407هـ/ 1987، هي 171 - 173.

الوزنة: يحيى حمزة عبد القادر (دكتور)، الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 1424هـ/ 2004، ص213 - 214.

81- ابن الأثير: مصدر سابق، ج11، ص85 - 86.

الحسيني: مصدر سابق، ص185 - 186.

حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص57.

حسن أحمد محمود (دكتور) وأحمد إبراهيم الشريف (دكتور): العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة 1995م، ص475.

82- ميرخواند: مير محمد بن سيد برهان الدين خواندشاه، تاريخ روضة الصفا، انتشارات كتاب فروشي مركزي، فروردين 1339، ج4، ص357.

الجويني: علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد الجويني، تاريخ جهانكشاي، جلد ثاني در تاريخ خوارز مشاهيان، بسعي واهتمام وتصحيح: محمد بن عبد الوهاب قزويني، تهران، چاپ اشنا، أول 1375 هـ. ش، ص2-4.

83- ميرخواند: مصدر سابق، ج4، ص358.

بارتولد: فاسيلي فلاديميروفتش، مرجع سابق، ص475.

إقبال: مرجع سابق، ص283 - 284.

الوزنة: مرجع سابق، ص171.

84- خواندمير: مصدر سابق، ج2، ص358 و359.

- إقبال: مرجع سابق، ص 284.
- حلمي: مرجع سابق، ص 56 و 57.
- بارتولد: مرجع سابق، ص 476 - 478.
- حسنيين: مرجع سابق، ص 124 - 125.
- 85- ابن الأثير: مصدر سابق، ج 11، ص 87 - 88.
- حلمي: مرجع سابق، ص 60 - 61.
- 86- ابن الأثير: مصدر سابق، ج 11، ص 95 و 96.
- الوزنة: مرجع سابق، ص 174 و 175.
- 87- الراوندي: مصدر سابق، ص 268.
- الجويني: مصدر سابق، ج 2، ص 15 و 16.
- ابن الأثير: مصدر سابق، ج 11، ص 176 وما بعدها.
- الوزنة: مرجع سابق، ص 184.
- 88- الراوندي: مصدر سابق، ص 268.
- 89- لمزيد من المعلومات انظر:
- الراوندي: مصدر سابق، ص 269 و 270.
- خواندمير: مصدر سابق، ج 2، ص 511.
- الهمذاني: مصدر سابق، ص 271. حلمي: مرجع سابق، ص 135 و 136.
- الوزنة: مرجع سابق، ص 184 - 186.
- 90- الراوندي: مصدر سابق، ص 271.
- 91- الراوندي: مصدر سابق، ص 272.
- الهمذاني: مصدر سابق، ج 2، ص 342.
- 92- ابن الأثير: مصدر سابق، ج 11، ص 177.
- 93- الراوندي: مصدر سابق، ص 277 - 278.
- الجويني: مصدر سابق، ج 2، ص 12.
- 94- ابن الأثير: مصدر سابق، ج 11، ص 230 وما بعدها.

مصادر البحث ومراجعته:

- (1) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1982م.
- (2) ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبي (المعروف بابن حوقل): كتاب صورة الأرض، بيروت-لبنان، 1979م.
- (3) ابن خلدون: العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، 1986م.
- (4) أبو النصر: دكتور محمد عبد العظيم يوسف أبو النصر، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2002م.
- (5) إدريس: دكتور محمد محمود إدريس، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول الأول، الناشر مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة، 1984م.
- (6) إقبال: عباس إقبال آشتياني: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205م/205هـ، 1343م/1343هـ) نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: الدكتور محمد علاء الدين منصور، راجعه: الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.
- (7) انوري: دكتور حسن انوري: اصطلاحات ديواني دوره غزنوي و سلجوقي، تهران، چاپ دوم، بائيز 1373 هـ ش.
- (8) البنداري: الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، زبدة النصرة ونخبة العصرة (تاريخ دولة آل سلجوق، ترجمة محمد حسين جليلي، تهران، بنياد فرهنگ ايران، 1356 هـ ش.
- (9) البيهقي: أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي، تاريخ البيهقي، ترجمه إلى العربية: يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت 1982م.
- (10) الجويني: علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد الجويني، تاريخ جهانكشاي، جلد ثاني، در تاريخ خوارزمشاهيان، بسعي واهتمام وتصحيح محمد بن عبد الوهاب قزويني، تهران، چاپ اشنا، أول 1375 هـ ش.
- (11) الحسيني: صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر الحسيني، زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق محمد نور الدين، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م/1405هـ.
- (12) الحسيني: صدر الدين بن علي الحسيني: كتاب أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه: محمد إقبال، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م/1404هـ.
- (13) الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، 1977م/1397هـ.
- (14) الإصطخري: أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق

- غربال، الناشر دار القلم، القاهرة، 1961م/1381هـ.
- (15) القاضي الشيخ محمد بن أحمد كنعان: تاريخ الدولة العباسية وما رافقتها من الممالك، القسم الثاني، خلاصة تاريخ ابن كثير، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1998م/1419هـ.
- (16) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1979م/1399هـ.
- (17) الكرديزي: أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي، زين الأخبار، ترجمته عن الفارسية: الدكتورة غفاف السيد زيان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982م/1402هـ.
- (18) المقدسي المعروف بالبشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه: الدكتور محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1987م.
- (19) الهمداني: رشيد الدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ (جلد دوم) ذكر تاريخ آل سلجوق، بسعي واهتمام أحمد آتش، دنيای کتاب، تهران، 1362 هـش.
- (20) الوزنة: الدكتور يحيى حمزة عبد القادر الوزنة، الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة، 1424هـ/2004م.
- (21) بارتولد: فاسيلي فلاديمير وفتش، تركستان (من الفتح العربي إلى الغزو المغولي)، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، 1401هـ/1981م.
- (22) بارتولد، و.: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان، راجعه إبراهيم صبري، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.
- (23) باسورث: ك.أ. وآخرون: تاريخ إيران، أز آمدن سلجوقيان تا فروباشي دولت ايلخانان، جلد پنجم، كردآورنده، جي. آ. بويل، ترجمة: حسن انوشه، تهران، اميركبير 1379 هـ.ش.
- (24) باسورث: ك.أ. وآخرون: تاريخ إيران، أز فروباشي دولت ساسانيان تا آمدن سلجوقيان، جلد چهارم، كردآورنده، ر. ن. فراي، ترجمة حسن انوشه، تهران، اميركبير 1379 هـ.ش.
- (25) باسورث-إكليفورد: تاريخ غزنويان، ترجمة: فارسي حسن انوشه، جلد دوم، مؤسسة أمير كبير، تهران، 1356هـ.ش.
- (26) فاروق سومر: غزاها (ترکمنها) دانشگاه إنكارا، 1976.
- (27) فامبري: ارميوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمه وعلق عليه الدكتور أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له الدكتور يحيى الخشاب، بدون تاريخ.
- (28) كاشغري: محمود بن حسين بن محمد كاشغري: ديوان لغات الترك، ترجمة وتنظيم وترتيب الفبائي: دكتور سيد محمد دبیر سياقي، چاپ أول، تهران، 1375هـ.ش.
- (29) نظام الملك الطوسي: الحسن بن علي إسحاق الطوسي، سياست نامه أو سير الملوك، ترجمة الدكتور يوسف بكار، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة- دولة قطر، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م.
- (30) براون: إدوار جرانفيل، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله إلى العربية

- الدكتور إبراهيم أمين الشورابي، مطبعة السعادة بمصر، 1373هـ/1954م.
- (31) خواندمير: غياث الدين بن همام الدين الحسيني، تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر، زير نظر محمد دبیر سیاقی، نشر خیام، 1353هـ.ش.
- (32) حلمي: الدكتور أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1395هـ/1975م.
- (33) حسن أحمد محمود (دكتور) وأحمد إبراهيم الشريف (دكتور): العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م.
- (34) حسنين: الدكتور عبد النعيم محمد حسنين، إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب المصري والليبناني، القاهرة، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م.
- (35) دائرة المعارف الإسلامية: أصدرت بالألمانية والإنجليزية والفرنسية، ويصدرها باللغة العربية أحمد الشنتاوي وآخرون، راجعها الدكتور محمد مهدي علام، دار المعرفة- بيروت-لبنان-بدون تاريخ.
- (36) دهخدا: علي أكبر دهخدا، لغت نامه، زير نظر دكتور محمد معين، تهران، چاپ سيروس، فروردين ماه 1341 هـ.ش.
- (37) ريجاردن: فراي: عصر زرین فرهنگ ایران، ترجمة: مسعود رجب نيا، انتشارات سروش، تهران 1358هـ.ش.
- (38) رنه كروسه: امپراطوري صحرانوردان، ترجمة وتحشية: عبد الحسين ميكده، بنكاه ترجمه ونشر كتاب، تهران 1353هـ.ش.
- (39) شفق: رضا زاده شفق، تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسى هنداي، الناشر دار الفكر العربي، 1366هـ/1947م.
- (40) طباطبائي: سيد جواد طباطبائي، خواجه نظام الملك، بنيا نكذوان فرهنگ امروز، ويزه فرهنگ ايران واسلام، چاپ أول، تهران 1375 هـ.ش.
- (41) عبدالرؤف: الدكتور عصام الدين عبدالرؤف، تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975.
- (42) عسيري: مريزن سعيد مريزن، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة 1407هـ/1987م.
- (43) كي إسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، الطبعة الأولى 1373هـ/1954م.
- (44) لمبتون: ان.ك.س: سيري در تاريخ ايران بعد اسلام، ترجمه: يعقوب أزند، تهران، أمير كبير، 1363هـ.ش.
- (45) محبوبة: الدكتور عبد الهادي محمد رضا محبوبة، نظام الملك الحسن بن علي إسحاق الطوسي، كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى 1419هـ/1999م.
- (46) محمود: الدكتور حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين

الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، القاهرة 1968م.

(47) ميرخواند: مير محمد بن سيد برهان الدين خواندشاه، تاريخ روضة الصفا، انتشارات كتاب فروشي مركزي، فروردين 1339هـ.ش.

(48) ن.و. بيكولوسكايا وآخرون: تاريخ إيران از دوران باستان تا بایان سده هیجدم، ترجمه کریم کشاورزه، تهران 1346هـ.ش.

المراجع الأجنبية:

Bosworth C.E,

The Ghaznavids, their empire in the Afghanistan and eastern Iran, Edinburgh 1963.

The Medieval History of Iran, Afghanistan and Central Asia, London 1977.

The Cambridge history of iran – volume 4 " The Early Ghaznavids by C.E Bosworth, 1975

Aturco – Mangol practice among the early Ghaznavids CENTREL ASIATIC JOURNAL 1962.

Nazim.M,

The life and times of the Mohmud of Ghazna, Cambridge 1931.

الدوريات والبحوث:

(49) أبو سيف: الدكتور فتحي عبدالفتاح

النزاعات السياسية في الدولة الغزنوية مع بداية حكم السلطان مسعود بن محمود الغزنوي، مجلة الدراسات الشرقية، العدد السابع، يوليو 1986.